يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

للأمير

عمر طوسون

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

مطبعة صلاح الدين بالاسكندرية



للأمير

عمر طوسون

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقبل علينا شهر يوليه من كل سنة فيذكرنا باليوم الأسود يوم ١١ منه ذلك اليوم الذى داست فيه انكلترا المعاهدات الدولية وتعلقت بأوهى الأسباب وضربت مدينة الاسكندرية . فاقترفت بذلك سبة الاعتداء على أمة لم يكن بينها وبينها إلا السلام واجترحت اثم التهجم على بلاد لم تناوئها الحرب ولم تبادئها بالعدوان والخصام .

ومن رأينا أنه لايجدينا شيء اكثر من ذكريات تاريخنا وأن الجد لنا كل الجد فى استثارة دفائن هذا التاريخ والاعتبار بتلك الذكريات حلوها ومرها . فاذا قلبنا صفحاته ورأينا فيها صفحة مجيدة نشرناها لأنها تحيي فينا روح الأمل بعودة ماضينا . وان كانت الأخرى وألفيناها صفحة سوداء لم نطو دونها كشحا ولم نضرب عنها صفحا لأننا لو سترناها وأغمضنا الطرف عنها أمسينا فى عماية ولم نعرف أخطاءنا فكان ذلك مدعاة لبقائنا فى غفلتنا سادرين وسيبا فى جهلنا بعللنا الخلقية وأمراضنا الاجتماعية أبد الآبدين .

نعم ضربت انكلترا بمدافع أسطولها حصون مدينة الاسكندرية وتغلبت عليها وترتب على ذلك ما ترتب من الاحتلال وما جره وراءه من النتائج الخطيرة التى لا زلنا نعانى شدائدها ونقاسى أهوالها ونكتوى بنارها . وهذا كله أمر معروف مفروغ منه . ولكن ماهى الأسباب التى حملتها على هذا العدوان ؟ وما هى الحالة التى كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية ؟ وهل كان فى امكانها مقاومة هذا الاسطول ؟ وهل كانت قواهما متفاوتة ؟ وما مقدار هذا التفاوت ؟ وهل قام الجيش المصرى المرابط فى هذه الحصون بواجبه الوطنى فى الذود عن البلاد والدفاع عن هذه الحصون حتى النفس الأخير ؟ وهل كان فى مقدور ساستنا وأولى الرأى والأمر فينا تغيير موقف انجلترا العدائى ؟ وما الذى حال بينهم وبين هذه السياسة القويمة الحكيمة ؟ ثم على من تقع بعد ذلك تبعة تخريب هذه الحصون وقتل هذه الأنفس العزيزة وضياع البلاد ؟ هذه كلها أمور تمر بخواطر الناس وخواطر المصريين خاصة ولكنهم لايجدون عنها جوابا . فأردنا أن نكتب هذه الرسالة فى هذا الموضوع لندعو بها المصريين الى تذكر يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ حتى يخطر دائما ببالهم ويمتزج بأنفسهم ويكون نصب أعينهم فى ليلهم ونهارهم . ثم لنجلو هذه الأمور الغامضة ولنكون على بينة من الأسباب والنتائج ولنستخلص من كل ذلك العبرة التاريخية لتكون لنا تذكرة ننتفع بها فى حاضرنا ومستقبلنا وانما يتذكر أولو الألباب ؟

عمر طوسون

حصون مدينة الاسكندرية

١ - من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك

كانت مدينة الاسكندرية أوسع رقعة قبل الفتح الاسلامى منها بعد هذا الفتح ، وكانت دائرة أسوارها القديمة المحيطة بها أكبر من دائرة سورها فى حكم العرب .

ذلك أنها كانت عاصمة المملكة المصرية منذ أسسها الاسكندر الأكبر إلى أن فتحها العرب ، فجلت عنها عساكر الرومان وأسرهم وحكامهم وكثيرون من النازلين بها من طوائف الأمم المختلفة ، خصوصاً بعد أن فتحت الفتح الثانى فى عهد خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وبعد أن اتخذت مدينة الفسطاط عاصمة للديار المصرية واكتظت بالسكان.

وكانت فى عهدها القديم مدينة منيعة حصينة غاية الحصانة مشهورة بأسوارها العديدة وخنادقها العميقة وأبوابها المحكمة وأبراجها الكثيرة الباذخة وحصونها العديدة الشامخة .

ولقد عانى العرب فى فتحها شدائد وأهوالا وظلوا فى حصارها ومهاجمتها أربعة عشر شهراً ، يصبحونها ويمسونها بالغارة تلو الغارة حتى فتحها الله عليهم ، فهالهم مارأوه فيها من وثيق البنيان وكثرة السكان ، وعظيم الحضارة والعمران ، وفسيح الميادين ، وعجيب الملاعب والعمد والأساطين ، وغرائب المبانى والقصور ، ووفرة الحوانيت والأسواق

والدور ، وروائع المسلات والعمارات والهياكل والكنائس والخانات .

ولما ظنوا أنها دانت لهم اتخذوا بها رابطة وشحنوها بمقاتلتهم، وعاد الفاتحون مع أميرهم عمرو بن العاص الى داخلية البلاد ، وتفرقوا فى أنحائها واتخذوا الفسطاط داراً لامارتهم . وظلت الحال على ذلك ردحا من الزمن .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عنها عمرا واستعمل عليها بدلا منه عبد الله بن سعد بن ابى السرح فلم تمض على ولاية هذا ايام حتى ثارت الاسكندرية على حاميتها فقتلوها واستولوا على مرابطها وكانوا قد كتبوا بذلك الى ملك الروم فأرسل اليهم المقاتلة والأمداد فملكوا المدينة وخرجوا منها لقتال المسلمين والاستيلاء على الريف ثم على سائر مصر وعند ذلك طلب المسلمون من الخليفة أن يعيد اليها عمرا لأن له هيبة فى صدورهم ومعرفة بحربهم . فأعاده اليها وعادت الحرب بينه وبينهم وكانت حرباً شعواء كتب الله النصر فيها للمسلمين وقد حلف عمرو لئن فتح الله عليه مدينة الاسكندرية ليهدمن حصونها وأسوارها . فلما فتحها الله عليه برّ بقسمه وسواها بالأرض ، حتى لا تعود فتنتقض على المسلمين مرة أخرى ويعتصم مقاتلتها بأسوارها وحصونها .

وفى هذا الفتح الثانى استحر القتال بين عمرو والروم بالقرب من باب السدره فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما رأى القتل قد استحر فيهم أمر برفع السيف عنهم رحمة بهم ،

وأسس فى هـــذا المكان مسجدا أسماه (مسجد الرحمـــة) وهو المسجد المعـــروف الآن بمسجد العمـــرى عند تقابل شـــارع أبى الدرداء بشارع الخـــديو الأول . وكان هذا المسجد أكـــبر مما هو عليه الآن كثيرا .

ثم فى أثناء ولاية احمـــد بن طولون على مصر عندما استقل بها فى نحـــو سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) أحاط الاسكنـــدرية بسور جـــديد خوفا من غارة عسكرالخليفة عليها . ويقـــال إن هذا السور هو الذى بقى إلى أن دخلها الفرنسيون كما يقال أيضـــا انه تهدم وانه بنى ثانيا فى أيام حكم المماليـــك البحرية وأن هذا هو الذى بقى عند مجىء الحملة الفرنسية .

واليك النصوص التى استندنا اليها فى هذا الشأن :ـ

قال ابن عبد الحـــكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) فى كتابه (فتوح مصر ص ٤٢) :ـ

كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضهـــا الى جنب بعض ـ مَنة وهى موضع المنـــارة وما والاها ، والاسكندرية وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، ونقيطة . وكان على كل واحـــدة منهن سور وسور من خـــلف ذلك على الثـــلاث مدن يحيط بهن جميعـــا ـ ثم نقل عن طريف الهمـــذانى أنه كان على الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق . اهـ

وجاء فى خطـط المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١ م) ج ١ فى آخر الكلام على مدينة الاسكندرية ما نصه :-

وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة . وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء - إلى أن قال - وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول . اه

وقال ابن عبد الحكم فى كتابه الآنف الذكر ص ٨٠ :

لما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر . فرجع من كان هرب من الروم فى البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها . اه

وهذا النص يتعلق بفتحها الأول .

وجاء فى الصفحة ٨٢ منه :-

وكتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - أما بعد ، فانى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير

أنى أصبت فيهـــا أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمـــام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك .

وعن أبى قبيل أن عمرا لمـا فتح الاسكندرية وجـــد فيهـا اثنى عشر ألف بقـــال يبيعون البقـــل الأخضر . وعن محمد ابن سعيد الهـــاشمى قال : ترحل من الاسكندرية فى الليـــلة التى دخلها عمرو بن العـــاص أو فى الليلة التى خافوا فيهـــا دخول عمرو سبعون ألف يهـــودى - إلى أن قال - وكان عدة من بالاسكنـــدرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهـــل القوة وركبوا السفن وكان بهـــا مائة مركب من المراكب الكبـــار فحمل فيهـا ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المـــال والمتاع والأهـــل وبقى من بقى من الأســـارى ممن بلغ الخراج فأحصى يومئـــذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان . اه

وجاء فى الصفحة ١٣٠ منه :ـــ

لمـا استقامت للمسلمين البـــلاد قطع عمرو بن العاص من أصحـابه لرباط الاسكندرية ربع النـــاس وربع فى السواحل والنصف مقيمون معـــه . وكان يصـــيّر بالاســـكندرية خاصـــة الربع فى الصيف بقـدر ســـتة أشهر ويعقب بعـــدهم شاتيـة ســـتة أشهر . وكان لـكل عريف قصر ينزل فيه بمن معـــه من أصحـــابه واتخذوا فيهـــا أخائذ . اه

وجاء فى الصفحتين ١٧٥ و ١٧٦ منه :ـــ

كانت الاسـكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهـم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث . وقـد كان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبـد الله بن سعد . فلمـا نزلت الروم الاسكندرية سـأل أهل مصر عثمان أن يقر عمـرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبـة فى العدو ففعل . وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها حتى تؤتى من كل مكان ـ إلى أن قال ـ وقتلهم عمرو حتى أمعن فى مدينتهم فـكُلّم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجد وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة وانما سمى مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هنالك ، وهدم سورها كله . اه

وهـذا النص يتعلق بفتحها الثانى .

وقال على باشـا مبارك فى خططه ج ٧ ص ٤٣ :ـ

وفى القرن التاسـع من الميـلاد اعنى بعـد فتح مصر بقرنين أيام خلافة المتوكل وهـو العاشر من بنى العباس والثـانى والثلاثون من الخلفاء بعـد رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، هدم أحمـد بن طولون الأسوار القديمة (١) وبنى غيرها فما كان جهة البحر

(١) ـ لايتفق هـذا مع النص الذى ذكرناه سابقا إلا أن يكون المراد أنه هدم أساس أسوارها لان أسوارها هدمت على يد عمرو بن العاص بعد انتقاضها وفتحها الفتح الثانى كما ذكره ابن عبد الحكم .

وفى رأينا أن عمرا انما هدم أسوارها التى كانت تعوق فتحها وهى أسوارها من ناحية البر وترك أسوارها البحرية على ما كانت عليه . وبذلك يستقيم الكلام هنا وفيما يأتى .

والغرب بقى على ماكان عليـــه مع بعض تغيـــير . وأما ماكان من الجهة الشرقية والجهة القبليـــة فقد دخل كثيرا لخراب هاتين الجهتـــين وذكر بعضهم أن ابن طـــولون انما عمر الأســـوار القـــديمة فقط ثم فى ســـنة ١٢١٢ م اعترى المدينـــة والأسوار تخـــرب فاحش فبنى أحد من تـــولى على تخت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا أخر وهى التى بقيت الى دخول الفرنساوية.

ثم قال :ـــ

وبهـــذا الانتقال كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتهـــا فى زمن الرومانيين وبقيت على ماوضعهـــا عليـــه ابن طولون الى زمن دخول الفرنســـاوية لكنها على حسب الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب . وفى ســـنة ١٧١٨ م بنـــاء على ماذكره مابى قنصـــل فرنســـا فى ذاك الوقت فى وصف اســـكندرية كان التخرب قـــد اعتراها وغير معالمهـــا حتى صـــار لايوجـــد فى مدينـــة العرب اكثر من مائة بيت وتحـــول غالب الناس الى ساحل المينـــاء وبنوا منازلهـــم فوق الأرض التى حدثت من انحســـار البحر فى محل الســـبع غلوات وهجرت مدينـــة العرب بالكليـــة فكانت خرابا بلقعا لايأوى اليها إلا أشـــقياء الناس. وتلك البـــلد التى حدثت بنيت بانقاض مدينـــة الاروام . وعلى هذا كان الخراب ممتـــدا من مكان مدينة كانوب (ابو قير) إلى باب العرب (بالمكس) على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض الى ساحل البحيرة وخليج

اسكندرية . وكان لايزيد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس . اهـ

٢ — فى أواخر حكم المماليك الجراكسة

قال خليل بن شاهين الظاهرى حاكم الاسكندرية فى عهد السلطان الاشرف برسباى من سلاطين دولة المماليك الجراكسة والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٦٨ م) فى كتابه (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) ص ٣٩ فى الكلام على ثغر الاسكندرية وحصونه ما نصه :—

فصل فى ذكر ثغر الاسكندرية

وهو أجل ثغور الاسلام وأعظمه يشتمل على سورين محكمين بهما عدة ابراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة وللثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مناجيق ومكاحل . وفى وقت الضرورة يعلق على كل شرافة قنديل . وهذا الثغر فى غاية التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسية يشهر ذلك وقت الضرورة . اهـ

٣ — قبل حكم محمد على

كانت حصون مدينة الاسكندرية عند قدوم الحملة الفرنسية عبارة عن سور محيط بها فيه ابراج ومزاغل ومرامى للنار وحوله خندق يصل اليه ماء البحر الملح .

وهـذا السور كان يسـمى سـور العرب لأنه بنى فى زمن حكمهـم وهـذه حقيقـة لاريب فيهـا لأن دائرة هـذا السور كانت أضـيق كثيرا من دائرة مدينـة البطالسـة أى الاسـكندرية القديمة عنـد اسـتيلاء العرب عليهـا :

وإليك تخطيط سور العـرب المذكور :ـ

الجهـة الشمالية منـه

كان السور يبتـدىء فى هـذه الجهـة من موقع البـاب رقم (١٠) من أبواب مخازن الجمـارك الحاليـة أمام شارع البحـرية ويمتـد فى اسـتدارته إلى ناحيـة الشرق مسـافة قدرها ٣٤٠ مـترا حيث كان يوجـد فى نهاية هـذه المسافة منـه باب يدعى (باب البحـر الغربى) — البـاب الأخضر — وموقعـه الآن عند تقابل شـارع الطوبجيـة بشارع البـاب الأخضر . ثم يمتـد فى اسـتدارته أيضـا إلى ناحيـة الشرق مسافة أخـرى قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يقطع شارع دانسطاسى . ثم ينحـرف الى الجنوب قليـلا ممتدا مسـافة قدرها ١٠٠ متر . ثم ينكسر متجها الى ناحيـة الشمال ممتـدا مسافة قدرها ١٥٠ مترا حتى يصـل الى نقطة موقعهـا الآن وراء المحـكمة المختلطـة بقدر ٦٠ مـترا تقريبا . ثم يعتـدل مشرقا مسافة قدرها ١٠٠ متر حيث كان يوجـد فى نهاية هـذه المسافة منـه باب يدعى

(باب البحر الشرقى) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد العطارين والسبع بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى فى هذا الانجاه قدرها ٢٢٠ مترا حيث موقع البورصة الآن . ثم ينكسر مرة أخرى متجها الى الشمال مسافة قدرها ١٨٠ مترا مخترقا شارع البورصة القديمة الى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول . ثم يعود فيعتدل الى ناحية الشرق الشمالى ممتدا مسافة قدرها ٥٨٠ مترا تقريبا حتى يصل الى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر الى ناحية الجنوب ممتدا مسافة قدرها ٣٢٠ مترا غربى شارع المسلة بمقدار ٣٠ مترا ثم يعتدل مرة أخرى الى ناحية الشرق ويكون حينئذ فى شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد ٣٠ مترا منه ممتدا مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل الى موضع حدائق البلدية الآن من شارع بلجيكا .

الجهة الشرقية منه

هذه الجهة تبتدىء عند تقاطع شارعى بلجيكا والسلطان حسين كامل فى موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب ممتدا مسافة قدرها ٢٣٠ مترا تقريبا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب رشيد) أو الباب الشرقى . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠ متر تقريبا حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الجالى .

الجهة الجنوبية منه

هذه الجهة من السور كانت تبتدىء من الجهة الشرقية الجنوبية . ثم يمتد السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر

تقريبا حتى يصـــل الى موقع محكمة العطارين الجزئية الآن . ثم يميل إلى ناحية الشمال قليلا ممتدا مسافة ١٠٠ متر حتى يصل الى جنوب كوم الدكة . ثم ينحرف الى ناحية الجنوب قليلا ممتدا مسافة قدرها ٢٧٠ مترا إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى قديما باسم (باب الصورى) ثم دعى بعد ذلك باسم (الباب الجديد) و (باب محرم بك) . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يصل الى مبتدأ موقع شارع الخديو الأول ثم يعتدل إلى ناحية الغرب ممتدا مسافة قدرها ٣٥٠ مترا فى امتداد شارع الخديو الأول حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب سدره) أو (باب العمود) وموقعه الآن عند تقاطع شارعى عمود السوارى والخديو الأول . ثم يمتد فى هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ مترا الى أن يصل الى موقع بورصة ميناء البصل الحاليـــة ويدور حولها ممتـــدا فى استدارته مسافة قدرها ٢٤٠ مترا تقريبا الى أن يصل الى ترعـــة المحمودية .

الجهـــة الغربية منـــه

تبتدىء هـــذه الجهة من السور المذكور من جنـــوبى هويس ترعـــة المحمودية الواقع أمام شون الاقطان ويمتـــد السور منهـــا متجها الى الشمال مســـافة قدرها ٣٥٠ مـــترا حيث كان يوجـــد فى نهاية هـــذه المســـافة منـــه باب يدعى (باب المغارات) وموقعـــه الآن بشارع الكوبرى القـــديم

أمام مكابس الأقطان . ثم يمتد فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ مترا . ثم ينكسر متجها قليلا الى ناحية الشمال الغربى ممتدا فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمرك المحمودية الآن . ثم يعتدل الى ناحية الشمال ممتدا مسافة قدرها ١٠٠ متر مارا بموقع مخازن الجمرك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلا مع اتجاهه إلى ناحية الشمال ممتدا فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٦٥٠ مترا مارا بمواقع مخازن جمرك الاسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته فى موقع الباب رقم (١٠) الآنف الذكر .

ومن هذا الوصف يعرف أن جزءا من مدينة الاسكندرية الحالية كان موجودا وقت مجىء الحملة الفرنسية ولم يكن داخل هذا السور وهذا الجزء هو الواقع شمال هذا السور بين الميناء الشرقية والميناء الغربية ويشتمل على قسم رأس التين وقسم الجمرك وجزء من قسم المنشية ولا بد أن يكون السبب فى ذلك يرجع الى أن هذا الجزء كان فى قديم الزمان مغمورا بالماء وكانت المينا آن متصلتين ببعضهما وكانت المدينة متصلة بجزيرة فاروس بواسطة جسر من الأحجار . وكان هذا الجسر هو الخط الفاصل بين الميناءين المذكورتين وكان حد الاسكندرية الشمالى ينتهى بسور العرب ولا يجاوزه .

والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن هذا الجزء لم يشيد ولم يصبح فى الحالة التى وجدته عليها الحملة الفرنسية إلا بعد أن ردم هذا الجسر وطمر واتصلت الميناآن ببعضهما ثم اتصلتا بجزيرة فاروس .

أما بناء هذا السور الحربى فانه كان على مايلوح من البناء الفاخر كما تدل على ذلك صوره ورسومه المخططة فى كتاب (وصف مصر) لعلماء الحملة الفرنسية .

ومما يؤسف له أشد الأسف عدم الاحتفاظ بهذا السور الأثرى القيم الذى هدم جانب منه وهو الجزء الواقع بالقرب من المينائين فى عهد حكم محمد على . ثم تهدم جزء آخر منه فى حكم الخديو اسماعيل . وباقيه هدم فى عهد الاحتلال الانكليزى .

واليك وصف هذا السور وقت مجىء الحملة الفرنسية كما جاء فى كتاب (وصف مصر) بالجزء الخاص بمدينة الاسكندرية الحديثة :—

لا يحتوى سور هذه المدينة المهجور الذى بعض اجزائه محصن بأكثر من ١٠٠ برج مختلفة الأشكال إلا على جزء من مدينة الاسكندرية اليونانية الرومانية القديمة . ويسمى هذا السور من زمن بعيد بسور مدينة العرب لأنه يظن أن امراء

الأمة العربية الذين دام لهم حكم الاسكندرية ومصر نحو ١٢٠٠ سنة هم الذين بنوه .

ويبدو لنا أن الواقع هو أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ مترا قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (القرن الرابع الهجرى) وحالة حيطانه الآن التى يحميها خندق ضيق، سيئة على وجه العموم . وبين ابراجه الكثيرة الشاهقة التى أكثرها رحب وبنيانها فخم، يشاهد بعض ابراج واقعة على الميناءين وعلى أطراف المدينة الحديثة يرجع تاريخ اقامتها الى القرون الأولى التى انشئت فيها مدينة الاسكندرية القديمة . فقد نقل الخلف عن السلف أن واحداً من هذه الأبراج وهو الذى يشرف على الفرضة الجديدة (الميناء الشرقية) من صنع يد الرومانيين وهذا البرج ما زال الى الآن يسمى (البرج الرومانى) وهو البرج القائم قرب مسلات كليوبطره وعلى الشمال منها .

وهنا لك برجان آخران يلفتان النظر بضخامتهما ولونهما العتيق أحدهما قائم على الميناء الجديدة ومطل على مدخل الساحة التى عندها تنتهى قناطر المجرى المائى . والثانى يشرف على الميناء القديمة وبداخله برج آخر قائم فى وسطه . وهذا البرج المزدوج المتصلة حيطانه من الداخل بقبو مستدير، رحب جداً وبناؤه أنيق . كما أن بعض أبراج اخرى كانت أجزاؤها السفلى تستخدم ولابد لخزن الماء .

ويوجد صهريج فخم فى برج من الأبراج المطلة على واجهة المدينة الحديثة الجنوبية .

وقد رمم الحصن القائم فى الزاوية البارزة الواقعة جنوب غربى السور حتى أصبح فى حالة صالحة جداً للدفاع ويقال له نظراً لشكله (الحصن المثلث) . ولكنه أبيد بالنيران التى اشتعلت فى مستودع بارودة قبيل آخر عام ١٨٠١ م .

وتنتصب أبراج هذا السور المشيدة حسب مستلزمات الحرب فى الأزمنة الغابرة ، شامخة فوق مبانيها التى أعدت لاقامتها عليها . وجميعها منتهية بمماشى بارزة عن قواعدها . وبهذه المماشى شرفات بها كوى وثقوب بواسطتها يمكن منع من يريد الدنو من هذا السور . وكافة الأبراج التى فى الخط الخارجى لها أبواب سرية أو أبواب للخروج تطل على الخنادق . وأغلب هذه الأبواب مرتفعة العتبات مترا أو مترين عن قاع الخنادق ويحجبها الآن ساتر من البناء .

ويشاهد فى صلب بناء حيطان السور وبالأخص فى أساس أغلب الأبراج كثير من أعمدة الرخام والصوان مندمجة اندماجا أفقيا فيها ويرى أحد طرفيها من الخارج . وبعض أجزاء وجهات هذه الحيطان مطلية بالمرمر لوقاية جوانبها من تأثير رطوبة البحر الملح التى تحدثها أنداء الليل الكثيفة المنتشرة على ساحل مصر . ويعاين الانسان تأثير الرطوبة الشديد فى الحجر الجيرى

ويرى كيف تحلله هذه الرطوبة بدرجة كبيرة متى تأمل فى حيطان السور القريبة من باب رشيد وفى الزاوية البارزة القائمة عنده .

وفى هذا السور خمسة أبواب منها اثنان فى واجهة المدينة الحديثة ، واحد فى الشرق يسمى (باب رشيد) والآخر فى الجنوب يسمى (باب العمود) ـ عمود السوارى ـ . ثم الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من البرج الهائل على المرفأ القديم (الميناء الغربية) . وهذا البرج هو آخر الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق السور وفتحاتها تواريها من الخارج حيطان الأبراج . وتستخدم هذه الأبواب للاستكشاف وللدفاع عن الحامية على النمط الذى تستخدم فيه الأبواب السرية التى فى جوانب ابراج حصون فرنسا . ومصاريع هذه الأبواب من النجارة المتينة المصنوعة من خشب الجميز . ووجهاتها الخارجية مكسوة بصفائح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس بارزة مشطوفة . ولكن هذا الحديد أكله الصدأ . أما خشبها الذى انحلت قشوره قليلا فهذا لم يزدد على مرور الأيام وكرور الأعوام إلا متانة . ويوجد على وجهات هذه الأبواب كتابة عربية كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن انشائها ـ اهـ

والحقيقة أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد كما قالوا . ومما يؤسف له أشد الأسف أن الكتابة المنوه

عنها فى هذا الوصف التى كانت على أبواب هـذا السور لم تنقل مع أنها كانت تنبئنا على الأقل عن اسم منشىء هـذه المبانى العظيمة .

وعدا أبراج سور العرب المذكورة كان يوجـد من الحصون عند مجىء الحملة الفرنسيـة قلعة فاروس أو قايتبـاى التى هى عبارة عن سـور محصن على طـراز العصر الذى بنيت فيـه وتحتوى على برج مربع الشـكل مشيد فى أركانه أربعـة أبراج صغـيرة وبمماشـيه شرفة فيهـا مصباح يضـاء فى الليل . وكان فى غرف هـذا البرج العليا أكداس من الأسـلحة المختلفـة تراكم فوقها الصـدأ وتدل حليهـا وأشكالها عـلى أن بعضها من أسـلحة الصليبيين والبعض الآخـر من أسلحة حمـلة لويس السادس عشر المنكودة ، كما كان يوجـد حصن آخر يقال له طابيـة فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعـة السابقة وهو الطابيـة المعروفة بطابية السلسلة الحاليـة . وهذه الطابيـة كانت مشـيدة فى نهاية خط الصخور التى هى نهاية الميـناء الشرقية من جهـة الشرق . وقد بنيت هـذه الطابيـة للدفاع عن هـذه الميناء . والصخور الموصـلة لهـذه الطابيـة الصغـيرة مرتفعـة عن منسوب ماء البحـر ولكنها كانت تغمـر به عند اشـتداد الأنواء .

وعنـد قـدوم الفرنسيين لم يكن يوجـد من هـذه الطـابية الصغـيرة إلا برج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع برى الصدأ حديدها من جـراء رطوبة البحر الملح التى حللت هـذا

الحديد وصيرته شرائح ونفايات معدنية .

ثم كان يوجد فى موضع مدرسة رأس التين الأميرية الآن حصن ثالث يشرف على الميناء الغربية .

ولما احتل الفرنسيون المدينة شيدوا حصونا لحمايتها من الاعتداء عليها من الخارج وهذا بيانها :ـ

(١) ـ حصن كوم الدكة . وهو الحصن الباقى إلى الآن وسموه حصن كريتان Fort Crétin تخليدا لذكرى المهندس الحربى الفرنسى القائمقام كريتان الذى أشرف على بنائه ثم قتل فى موقعة أبى قير التى نشبت بين الفرنسيين والجنود التركية فى ذلك الحين .

(٢) ـ حصن كوم الناظورة . وهو أيضا لايزال باقيا إلى الآن . وسموه حصن كافاريللى Fort Cafarelli باسم الجنرال الذى كان مشرفا على الأعمال الهندسية الحربية فى جيشهم . وهذا الجنرال فقد إحدى ساقيه قبل مجيئه إلى مصر واستعاض عنها بساق خشبية فكناه المصريون بأبى خشبة ثم قتل فى حصار عكاء .

(٣) ـ حصن لوتورك Fort Leteruce وهو حصن أقاموه غربى الحصن السابق على شاطىء البحر فى الموضع الذى به طابية صالح الحالية . ولوتورك اسم أحد قوادهم .

(٤) ـ حصن كليوبطره . وهو حصن شيدوه على المرتفعات

القائم عليها الآن المستشفى الأميرى وسموه بهذا الاسم لمجاورته للمسلة المسماة بمسلة كليوبطره .

وقد أقاموا عدا هذه الحصون صفوفا من المدافع (بطاريات) فى المواضع الآتية :ـ

(١) ـ بطارية فى نهاية رأس التين فى الموضع الذى صار فيما بعد طابية الفنار .

(٢) ـ بطارية فى شمال رأس التين فى الموضع الذى صار فيما بعد طابية سراى رأس التين .

(٣) ـ بطارية فى موضع منهد (ميس) ضباط الحرس الملكى الآن وكان فى موضعها قبل ذلك طابية الاسبتالية .

(٤) ـ بطارية فى موضع طابية الأطة الحالية .

هذه هى كل المنشآت التى أقامها الفرنسيون على شواطىء مدينة الاسكندرية وفى داخلها للدفاع عنها من عدو يهاجمها . وليلاحظ أنه فى مواضع البطاريات السالفة الذكر أقيمت طوابى فيما بعد كما سبق .

٤ — فى حكم محمد على

عهد محمد على إلى جاليس بك تحصين مدينة الاسكندرية

وفى عام ١٨٤٠ م كانت حصونها وأسلحتها كما يؤخذ من رسوم الملازم نيوجنت Nugent من رجال البحرية البريطانية كالآتى :-

الحصون	مدافع	اهوان	الجملة
«١» - طابية السلسلة	٦	—	٦
«٢» - « قبور اليهود	١٠	—	١٠
«٣» - « كوم الدكة	٦	٣	٩
«٤» - « كوم الناظورة	١٢	٤	١٦
«٥» - « قايتباى	٢٠	١٢	٣٢
«٦» - « الأطة	١٠	١	١١
«٧» - « سراى رأس التين	٤٦	١٧	٦٣
«٨» - « فنار رأس التين	٣٣	١٠	٤٣
«٩» - « صالح أغا	١٥	٣	١٨
«١٠» - « أم قبيبة	٣٠	—	٣٠
«١١» - « القمرية	١٠	٣	١٣
«١٢» - « الملاحة القديمة	١٠	—	١٠
«١٣» - « الملاحة الجديدة	٣٤	—	٣٤
«١٤» - « الدخيلة	١٠	٣	١٣
«١٥» - « جزيرة العجمى أو المرابط	٨	٣	١١
«١٦» - طوابى دائرة السور	٧٠	—	٧٠
الجملة العمومية	٣٣٠	٥٩	٣٨٩

وبعد سنة ١٨٤٠ م وفى أواخر حكم محمد على زاد عدد هذه الحصون كما يؤخذ من القائمة المؤرخة بعام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) التى وضعها حسن باشا الاسكندرانى ناظر البحرية المصرية الذى أدركته المنية سنة ١٨٥٥ م فغرق مع من غرق فى سفينة القيادة (مفتاح جهاد) فى حرب القرم التى اشترك فيها الأسطول المصرى .

وهذه القائمة نقلها اسماعيل سرهنك باشا فى كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) ج ٢ ص ٢٥٩ . ومنها يتبين أن عدد هذه الحصون ومدافعها كان كالآتى :-

الحصون	مدافع	أهوان	الجملة
«١» - طابية الفنار	٥٧	٦	٦٣
«٢» - « الفنار الصغيرة	١	-	١
«٣» - « التراب	٦١	١٢	٧٣
«٤» - « الاسبتالية الجديدة	١٣	١٠	٢٣
«٥» - « الاسبتالية القديمة	٢٥	-	٢٥
«٦» - « الأطة	٥٧	٧	٦٤
«٧» - قلعة برج الظفر	١١٠	٦	١١٦
«٨» - طابية ظهر منزل الفرنسيس	٦	٦	١٢
«٩» - « المفحمة	٨	-	٨

(تابع) بيان الحصون ومدافعها

الحصون	مدافع	أهوان	الجملة
«١٠» — « مسـلة فرعون	٩	-	٩
«١١» — « قبور اليهود القديمة	١٠	-	١٠
«١٢» — « قبور اليهود الجديدة	٢٠	-	٢٠
«١٣» — « برج السلسلة	١٨	١	١٩
«١٤» — « باب شرقى	٦	-	٦
«١٥» — « كوم الناظورة	١٠	١	١١
«١٦» — « الدخيـلة	٣	-	٣
«١٧» — « السلسـية	٢٠	٢	٢٢
«١٨» — « المكس	٤٠	٩	٤٩
«١٩» — « القمـرية	٩	١	١٠
«٢٠» — « أم قبيبـة	٥٦	٤	٦٠
«٢١» — « الملاحة القديمة	١٤	١	١٥
«٢٢» — « الملاحة الجديدة	٣٤	١	٣٥
«٢٣» — « صـالح أغا	١٣	-	١٣
«٢٤» — « باب سـدرة	٨	-	٨
«٢٥» — « كوم الدكة	٩	٢	١١
الجمـلة	٦١٧	٦٩	٦٨٦

وزيادة فى بيان هـــذه الحصون ومواقعها نقول :-

(١) و (٢) — طابيتا الفنـــار والفنـار الصغـــيرة . هما الآن عبارة عن الطابيـــة المعروفة بطابيـــة الفنار برأس التين .

(٣) طابية الـــتراب . هى الآن تشغـــل خط النـار شمال سراى رأس التين ولهـــذا تسمى طابية سراى رأس التين .

(٤) و (٥) — طابيتا الاسبتاليـــة القديمـــة والاسبتاليـــة الجـــديدة . تقعان الآن تجـــاه قشلاقات وميس ضبـــاط الحرس الملكى فى المكان الذى كان قائما عليه هذان المستشفيان .

(٦) ـ طـــابية الأطة . لاتزال فى موضعهـــا كما كانت إلى الآن شرقى حمـــام الأنفوشى وبهـــا مركز لخفر سواحـــل قسم الاسكندرية والأطة كلمـــة تركية معناها الجزيرة وهـــذه الطابية الآن تعرف عنـــد الناس باسم طابيـــة القضا .

(٧) ـ قلعـــة برج الظفر . هى فى رأينا الطـــابية المعروفة الآن بطابية قايتباى للأسباب الآتية :-

(ا) ـ تسمية كثيرين من المؤلفين لهذا البرج باسم قايتبـاى.

(ب) ـ عـــدم ذكر اسم حصن قايتبـــاى فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى مع انه كان أهم حصـــون الاسكنـــدرية كما يؤخذ من حالة تسليحه .

(ح) ـ مجىء هـــذا الحصن فى الذكر بعد طـــابية الأطة

فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى وكذلك فى الوضع الجغرافى فانه فيه بعد هذا الحصن شرقا .

نعم كان يوجـــد بين موقع مسجـــد الامام البوصـــيرى وسراى المحـــافظة القديمة على شـــاطىء البحر برج صغـــير كان معروفا بين النـــاس باسم البرج الزفر (برج الظفر) . وقـــد زال ومحيت آثاره منـــذ أن ردم ساحل البحر فى هـــذه الجهة وأقيم بناء رصيف الميناء الشرقية الجديد فيجوز أن يكـــون برج الظفر هو هـــذا البرج الذى زال . وقلعـــة برج الظفر هى الطـــابية المعروفة بطـــابية قايتباى . ولامحيد عن أحد هذين الرأيين ، واهمال ذكر برج الظفر بهـــذا الاسم وحـــده فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى يكـــون لأنه أدمجه تحت اسم قلعـــة برج الظفر أو لأنه لم يكن له أهمية حربية .

(٨) ـ طـــابية ظهر منزل الفرنسيس . كانت واقعـــة كما يدل على ذلك اسمهـــا على البحر خلف قنصلية فرنسا القـــديمة التى كانت مشيدة محـــل ميدان سعد باشا زغـــلول الآن ودمرتها نيران الاسطول البريطانى سنة ١٨٨٢ م عند اطلاق قنابله على المدينة .

(٩) ـ طـــابية المفحمة . كانت قائمة عـــلى شاطىء البحر أيضا شرقى الطابية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة .

(١٠) ـ طـــابية مسلة فرعون . كانت كما يدل عـــلى ذلك اسمها قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية .

(١١) و (١٢) — طابيتا قبور اليهود القديمة وقبور اليهود الجديدة . كانت أولاهما فى موضع المستشفى الأميرى الحالى . والثانية بين نهاية شارع يوسف عز الدين ورأس السلسلة .

(١٣) — طابية برج السلسلة — كانت تشغل الرأس الداخل فى البحر الذى حولته البلدية الى متنزه .

(١٤) — طابية باب شرقى — كانت قائمة بالقرب من أحد أبواب سور المدينة وهو الباب المسمى بهذا الاسم والمسمى أيضاً بباب رشيد . وموقعها الآن فى شارع فؤاد الأول عند ملتقى شارع السلطان حسين كامل بشارع بلجيكا .

(١٥) — طابية كوم الناظورة (الناضورة) — لا تزال باقية وفيها الآن مركز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .

(١٦) — طابية الدخيلة — كانت واقعة بين باب العرب وطابية العجمى .

(١٧) — طابية السلبية — وهذه لا بد أن موقعها كان بين طابيتى الدخيلة والمكس .

(١٨) — طابية المكس — وهى قائمة الى الآن قرب باب العرب .

(١٩) — طابية القمرية — كانت واقعة شرقى الطابية

السابقة فى موضع مركز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .

(٢٠) — طابية أم قبيبة — كانت شرقى طابية القمرية المذكورة وبينها وبين طابية صالح اغا فى موضع شوادر الخشب الآن .

(٢١) و (٢٢) — طابيتا الملاحة القديمة والملاحة الجديدة — هما على هذا الترتيب حصنا اليسرى الصغرى واليسرى الكبرى الحاليتان القائمتان بين طريق المكس وبحيرة مريوط خلف المحطة القديمة التى كانت لخط سكة حديد مريوط ثم تحولت الآن مدرسة للبنات (مدرسة المعلمات الورديان) والحصن الشرقى منهما الذى هو طابية الملاحة القديمة مبين بخريطة مصلحة المساحة باسم حصن الملاحة .

(٢٣) — طابية صالح أغا — لا تزال باقية الى الآن ومعروفة باسم طابية صالح . وهى التى تقوم باطلاق المدافع لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية .

(٢٤) — طابية باب سدره — كان موقعها قرب أحد أبواب سور العرب المعروف بباب السدره وموقع هذا الباب الآن بشارع الخديو الأول تجاه شارع عمود السوارى .

(٢٥) — طابية كوم الدكة أو كوم الدماس — لا تزال باقية الى الآن فى موقعها على الشارع المعروف بشارع نبى الله دانيال . وهى مشهورة غنية عن التعريف .

٥ – فى حكم ابراهيم باشا

قال على باشا مبارك فى خططه ج ٧ ص ٦٠ مانصه :

قد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمور مهمة فى اسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكميل طوابى اسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه فى عهد العزيز والده وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه – إلى أن قال – وأمر فى ثغر اسكندرية بانشاء مائتين وخمسين شلوبة طوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البوغازات والملاحات . وكان عازما على تخطيط سكة تبتدىء من الاسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة – إلى أن قال – لكن لم تمهله الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . اه

٦ – فى حكم عباس الأول

وقال على باشا مبارك أيضا فى خططه ج ٧ ص ٦١ أثناء الكلام على الاسكندرية فى زمن المرحوم عباس باشا ما نصه :—

وكان مما وجه همته اليه زيادة على غيره تتميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارسمه رئيس هندسة الاستحكامات جاليس بك ووافقه عليه ذوو الدراية والخبرة وأقره الخديو . فأقام معظم حصونها وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن

ذلك قلعة مقابر اليهــود وقلعة أبى قير وقلعة العجمى مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . فأنشأ فى قلعة مقابر اليهود جبخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قنطار من البارود وهى إلى الآن مستعملة فى حفظ البارود. وعمل فى قلعـــة أبى قير مخبزا وطواحين تدور بالهـــواء . واسبتالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القــلاع فكانت العساكر المقيمة فى تلك الجهـــات لا تحتاج لشىء يأتى من الخارج . ولم يزل ملتفتا الى الاستحكامات والقلاع والحصـــون عازما على إتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطـــوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاسبتاليات وغير ذلك حتى انتظم اكثر القلاع التى كان جده وعمه مهتمين بها . وبنيت ورشة للطوبجية فى وسط المدينة فى شرقى المحل المعروف بكوم الناضورة طولها مائتا متر فى مثلها عرضا مشتملة على جميع محـــلات التشغيل كمحلات النجارة والحدادة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن . وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القبيل . وعمل بها عـــدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا وأمر ببيع أرضها للأهـالى فبنيت منـازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هنيدى (حمام الورشة) وأنشئت القشلاقات داخل الطوابى . فمن ذلك قشلاق فى طـابيـة الأداء (الأطة) لاقامـة خمسمائة عسكرى . وقشلاق فى قلعـة أم قبية كذلك . وقشـلاق فوق باب الصورى المعروف بباب محرم بك لاقامة أورطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل (١) مرت فى وسط القشلاق فقسمته نصفين . والآن به عساكر محافظة الضبطية . وبنى الاسبتالية الملكية فى حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوبطرة ووفاها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل بها اجزخانة وبيتا لتركيب الأدوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الأمراض والعلل . ورتب لها حكماء وجراحجية فجاءت من أحسن الاسبتاليات وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الأهالى والغرباء للتداوى بدون مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا . والآن عمل من فيض المكارم الخديوية اسبتالية عوضاً عنها فى محل قريب منها . ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل فى المحافظة فكشف سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش — إلى أن قال — واهتم أيضا بكشف الصهاريج التى بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل عليه وقدر ما تسع من الماء والمجارى التى توصل الماء اليها وصار التنبيه على أصحاب الاملاك ألا يتلفوا شيئا من ذلك ولا يتصرفوا فيه وجعل لذلك قوانين معمولا بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فنشأ عن بطلانها تصرف أصحاب الأملاك فى كثير منها بالنقض والهدم . وحيث كان الماء من أهم لوازم الميناء ولا يستغنى عنه زمنا ما

(١) هذا خطأ ظاهر ولعل صحة الكلام سكة حديد الخط الطولى الموصل الى القاهرة .

لا سيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر صدرت أوامره السنية بعدم التعرض للصهاريج بوجه ما والرجـــوع الى تلك القوانين فامتنع الناس من هدمها ولا يخفى أهمية ذلك فان تلك الصهاريج مبنية من قرون عـديدة ولا شك أنها صرفت فيها أمـــوال جسيمة وهى من الآثار القديمة التى نوه التاريخ بقدرها وأهميتها بالنسبة لهـذه المدينة لبعدها عن النيل . والماء الواصل اليها من الخليج يمر فى وسط بحائر ملحة ومنحطة وفى أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان المدينة منه فيقع أهلها فى الضرر وتفارقها العمارية مع أنها مفتاح القطر فلم يكن أهم مما يوصل الى عماريتها وراحة أهلهـا . ومن ذلك كشف المسـالك الموصلة اليها ومعـرفة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من لوازم الحياة كالمياه العـذبة والمراعي وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع الأعداء . فكل ذلك معرفته مهمة فى وقت السلم لينتفع به عند حصول ضده . فهذا هو ملحظه رحمه الله وملحظ المؤسـس الأصـــلى وملحظ سر عسكر (ابراهيم باشا) جزاهم الله عن الوطن خيرا . ومن هـــذا الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل ســـكة عسكرية من طابية القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العسـاكر والواردين على المـدينة من جهة الغرب ووادى سيوة وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة لعدم انتظام المسالك — إلى أن قال — وقـد رسم ذلك كله فى خرط الاستحكامات حتى لا تتطرق اليه شبهة فيما بعد — إلى أن قال — ولما كثرت الافرنج والأغراب فى مـــدينة الاسـكندرية واستـوطنوها

واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرق المـــدينة بينها وبين أبى قير وأكثروا من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الارض هناك إذ ذاك فتيقظت الحكومة لذلك لما لتلك الجهـــات من الأهمية لوقوعها فى المناطق العســـكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه الأراضى وبيان ما بنى ومالم يبن منها ومنعت التصرف فى أراضى الرمل وغيرها إلا باذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هـذه الأمور . وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب المرحوم فى اتخاذه معسكرا تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها وأمر بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل (مـــلاحة سيدى جابر — أرض سموحة الآن) لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته لم يتم ذلك . اهـ

٧ - فى حـــكم سعيد باشــــا

الظاهر أن تحصين مدينة الاسكندرية فى حكم سعيد باشا بقى على ما كان عليه فى حكم سلفه عباس الأول .

٨ - فى حكم الخـــديو اسماعيل

عزز الخديو اسماعيل حصـــون هذه المدينة بمدافع أحدث طرازا من التى كانت بها حتى يجـــارى بذلك روح العصر الذى كان

فيه لأن مـــدافع عصر محمـــد على لم يكن بينهـــا النوع المعروف بالششخانة الذى تحقق تفوقه على النوع القـــديم . فكان من اللازم التفكير فى تسليح هـــذه الحصون بهذا النوع مادام القصد من هـــذا التسليح ضمان سلامتها من غارة أجنبية .

لذلك ابتاع الخـــديو اسماعيل من انجلترا فيما بين سنـــة ١٨٦٩ و سنة ١٨٧٣ م ٢٠٠ مـــدفع من طـــراز أرمسترونج عيار ٧ بوصـــات ووزن ٧ أطنـان وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنـان وعيـــار ٩ بوصات ووزن ١٢ طناً وعيـار ١٠ بوصـــات ووزن ١٨ طنـــاً وهذه المـــدافع تعمر من الأمام . وابتـــاع أيضاً أربعـة مـــدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز عينه ولـــكنها تعمر من الخلف . ونصب من هـــذه المدافع فى حصـــون مدينة الاسكندرية الأربعة المـــدافع الأخيرة و ٤٦ مـدفعا من المـــدافع الأولى . والبـاقى من المـائتى مدفع نصبه فى بقية حصـــون سواحل مصر حتى بور سعيد .

ووقت تركيب هذه المـــدافع الحديثة نزع بعض المـدافع القـــديمة وكانت التى نزعت بالضرورة غـــير صالحة للاستعمال ولكن قـــواعدها استخدمت مـــداور للمدافع الحديثة .

موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطانى

الحصون

إن ساحل مدينة الاسكندرية سهل منبسط ليس به هضاب ولا جبال اللهم إلا بعض التلول المصنوعة . وهو لهذا السبب الطبيعى لا يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن هذه المدينة شر القنابل الحديثة سواء التى اخترعت فى أيامنا هذه والتى كانت فى سنة ١٨٨٢ م وقت أن ضربها الأسطول الانكليزى الذى كان مزوداً بمدافع أقوى من مدافع هذه الحصون .

وكان حصن أم قبية هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن الأرض . وكانت حصون الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢ م هى ذات الحصون التى كانت فى عهد محمد على مع فرق بسيط . وهو أنه لما سلحها الخديو اسماعيل بمدافع من طراز أرمسترونج رفع ستائرها وزاد فى سمكها وفتح فيها كوات جديدة تتناسب مع هذا التسليح الجديد . ولكن كل المدافع كانت منصوبة فى العراء بدون أن يعلوها أية وقاية تقى العساكر الذين يطلقونها . وقد يجوز أن يكون نصبها بهذه الكيفية أخف ضررا لو كانت هذه الحصون شيدت فوق مرتفعات لأن

علوها حينئذ بالنسبة للضلع التى تضطر السفن الحربية أن تصوب منها مدافعها يمكن أن يتخذ وقاية كافيـــة لحماية جنودها من أذى القنـابل . ولكن نظـــراً لأن كل هذه الحصـــون تقريباً كانت قائمة على أرض منخفضـــة نشأ من ذلك أضرار بالغـــة لرجال مدفعيتهـا الذين كانوا عرضـــة لنار مدافع السفن وبالأخص لمـــدافع السربند المنصوبة على الســـوارى والتى بواسطتها فى هـــذه الحالة يمـــكن إســـكات مدافع هذه الحصون بقتل جنـــودها وبغـــير حاجة الى اتلاف هـــذه المدافع .

والحصن الوحيـــد الذى يمكن استثناؤه من هـــذه الحالة هو حصن قايتبـــاى الذى كان فى طبقته السفلى المسقوفة مـــدفعية مستـــورة بطبقته العليا . ولكن حيطـــانه لم تـــكن من المتـــانة بحالة تستطيع معهـــا الاستهداف لمدافع هـــذا الأسطول . فقتلت وجرحت الشظايا التى كانت تتطـــاير منها كثيرا من الجنـــود فضلا عما أحـــدثته من الضحايا والتلف للأهالى والمســـاكن حتى لقـــد قال القـــائد جودريتش Goodrich أحـــد قـــواد امريـــكا الحـــربيين فى تقـــريره ص ٤٨ إن هـــذه الحرب لم تكن إلا دهليزا إلى مهاوى الموت السحيقة .

وقـــد كان هـــذا القائد على ظهـــر السفينة الحربيـــة لانكاستر Lancaster وقت ضرب الاســـكندرية وشاهد هـذه الموقعة

وعاين هذه الحصـــون بنفسه بعد الضرب وتتبع خطـــوات الجيش الانـــكليزى فى جميع حركاته العسكرية من أولهـــا الى ما بعد واقعة التل الـــكبير . وقدم تقريراً مفصـــلا لحكومته بكل ما عاينـــه ورآه . ومن هـــذا التقرير استقيت معظم معـــلوماتى .

وكان فى كل الحصـــون بدون استثناء مبان عـــديدة مرتفعة عن ستائرها مثل مستودعات القنابل والشكنات (القشلاقات) والمخازن . وكانت هـــذه المبانى المرتفعـــة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتـــكون هـــدفاً عجيبا لا تخطئه نيران مـــدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود على الأخص غـــير مصونة الصيانة الكافية . ويؤيـد ذلك انفجار مستـــودعي البارود فى طابيتى الأطـــة والدخيـــلة . ومن العجـــائب أن مستـودعى البارود فى كلتـــا الطابيتين هما وحـــدهما اللذان أصيبا فانفجرا وتمزقا شر ممزق دون غيرهما من المبانى التى فيهما . والقنـــابل لم تـــكن على وجه العموم معبأة من قبـل فى مدافع هذه الحصون بل كانت تعبأ فى خـــلال المعـــارك .

هـــذه هى الحالة التى كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢ م وقتما ضربها الأسطـــول الانـــكليزى . أما من حيث تسليح الحصون التى كانت فى ساحل المـــدينة وكانت معرضـــة لمدافع الأسطـــول فكان كالآتى :—

الحصون	مدافع ارمسترونج ششخانة تعمر من الامام عيار بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	تعمر من الخلف عيار رطلا ٤٠	الجملة	مدافع غير ششخانة	اهوان	الجملة العمومية
طابية السلسلة	-	١	١	-	-	٢	٢	١	٥
قلعة قايتباى	-	٢	٣	١	٢	٨	٣٨	٤	٥٠
طابية الهلالية	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
« الأطة	-	١	٣	١	-	٥	١٤	٥	٢٤
« الاسبتالية	٢	-	-	-	-	٢	١٠	٥	١٧
« رأس التين	-	٢	٢	١	١	٦	٢١	٥	٣٢
« الفنار	-	١	٤	١	-	٦	٢٨	٣	٣٧
« صالح أغا	-	-	-	-	-	-	٢١	١	٢٢
« برج رقم ١٥	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
« أم قبيبة	-	٢	-	-	-	٢	١٦	٣	٢١
« القمرية	-	-	-	-	-	-	٥	-	٥
« المكس	-	٣	١	١	١	٦	٣٦	١٠	٥٢
« الدخيلة	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
« العجمى	١	-	٥	٣	-	٩	-	-	٩
« المرابط	-	-	٣	-	-	٣	٢٦	٣	٣٢
الجملة	٣	١٢	٢٢	٨	٤	٤٩	٢٢٩	٤٠	٣١٨

وعدا المدافع السالف بيانها نقــل اثنا عشر مدفعا من طراز ارمسترونج الذى يعمر من الأمام (ششخانة) الى الحصون الآتية : -

مدفعان عيار ٩ بوصــات ومدفعان عيار ١٠ بوصات الى طابية المكس .

وثلاثة مدافع عيار ٩ بوصات الى طابية الدخيلة .

ومدفعان عيــار ٧ بوصــات ومدفعان عيــار ٨ بوصات ومدفع عيار ١٠ بوصات إلى حصن المرابط .

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها فى هــذه الحصون ولا أمكن استعمالها فى ضرب الأســطول الانكليزى .

ويجب حذف المدافع التى من غــير نوع الششخانة وكذلك الأهوان من قائمة المدافع المذكورة قبل لأنها لم يكن لها فى الواقع أية قيمة حربية فى زمن ضرب مدينــة الاسكندرية إذ كانت قطعا عتيقة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وكان مرماهــا قصيرا وليس لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطانى لأن القنبلة بعد أن تجتاز المسافة التى تحتفظ فيها بسرعتها تستمر فى السير ولكن مع ضعف فى هذه السرعة . فاذا وصلت إلى الهدف عند ضعف سرعتها لاتحدث ضررا يذكر لخصم قوى فى منزلة هذه المدرعات.

ولا يمكننى أن أقدم برهانا على صحــة ماذكرت أسطع مماوقع لسفينة القيادة فى هــذا الأسطول (الكسندرا Alexandra) .

فقد أصيبت هذه السفينة بستين قنبلة فكانت نتيجة هـــذه الأصابات قتل جندى واحد وجرح ثلاثة . فلو أن هذه القنابل الستين كان لها تأثير حقيق لأغرقتها.

ومن ناحية أخرى كانت عجلات هـــذه المدافع فى حالة سيئة فبعضها تحطم عند انطلاق المدافع وبعضها انقلبت من فوقها المدافع عند رجوعها على أثر انطلاقها .

ويجب أيضا حذف المدافع الأربعـة التى من طراز ارمسترونج وتعمر من الخلف لأن عيارها صغير جدا بحيث لاتستطيع أن تعمل عملا جديا ضد هذه المدرعات .

الأسطـــول

كان الأسطول الانجليزى الذى ضرب مدينة الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور Seymour مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة هى : الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال . والانفلكسيبل Inflexible . والسلطان Sultan . والسوبرب Superb . والتمـــرير Téméraire . والانفنسيبل Invincible . ومونارك Monarch . وبنلوب Penelope . وخمس سفن صغيرة (مدفعيات) وهى : بترن Bittern . وكندور Condor . وبيكن Beacon . وسينت Cygnet . ودكوى Decoy .

وسأحذف عند ذكر مدافع هذا الأسطول المدافع التي عيارها

يقل عن عيـــار مدافع الحصون وكذلك مدافع السفن الصغيرة (المدفعيـــات) . وذلك فى مقابل المدافـع العتيقـــة والأهـــوان التى حذفتهـا من الحصـــون . وهذا الحـــذف فى صالح الاسطول على ما أرى .

وقـــد كانت كافة المدافع المسلح بها هذا الاسطول من طراز ارمسترونج وتعمر من فوهاتها مثـــل مـــدافع الحصون التى من نوعها (الشَشخانة) . وهاك تقسيمها على مختلف المدرعات المذكورة :—

المدرعات	المـــــــدافع العيـــــــار						الجملة
	بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	بوصه ١٢	بوصه ١٦	مدافع
الكسندرا	-	-	-	١٠	٢	-	١٢
انفلكسيبل	-	-	-	-	-	٤	٤
سلطان	-	-	٤	٨	-	-	١٢
سوبرب	-	-	-	١٦	-	-	١٦
تمـــرير	-	-	-	٤	٤	-	٨
انفنسيبل	-	-	١٠	-	-	-	١٠
مـــونارك	١	-	٢	-	٤	-	٧
بنـلوب	-	٨	-	-	-	-	٨
الجمـــلة	١	٨	١٦	٣٨	١٠	٤	٧٧

وكان وزن المدافع عيار ١٦ بوصة ٨٠ طنا وتقــذف قنابل وزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل (٦١٢ أقة أو ٧٦٥ كيلو جرام).

المـــوازنة بين الســـلاحين

والآن أباشر معالجة الموازنة بين سلاح الحصـــون وسلاح الأسطـــول لأبين تفوق الثانى التفـــوق العظيم على الأول بالعيار وبالوزن فأقول :—

لقد كانت مدافع الحصون ذات العيـــار الواسع حسب القائمة التى سبق تدوينها كما يأتى :—

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالأطنان
٣	٧	٧	٢١	٢١
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤٤
٤٥			٣٩٥	٣٨١

أما مدافع الأسطول فكانت كما ذكر آنفا كالآتى :—

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالأطنان
١	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٩	٦٤	٧٢
١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢
٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤
١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠
٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠
٧٧			٧٧٩	١٥٢٥

فالأسطول كان يمتاز امتيازا كبيرا على الحصون كما يعلم من المقارنة بين هذه الأرقام . ويكون هذا الامتياز أشد ظهورا لو نظرنا بعين الاعتبار إلى حالة طابيتى السلسلة والعجمى . فحصن العجمى لم يكن قد تم إنشاؤه فلم يشترك فى القتال . وكذلك لم تشترك فيه مدافع الحصون الأخرى التى لم تكن منصوبة فى اتجاه الاسطول . وهذا الامتياز يتعاظم ويزداد ظهورا بسبب سرعة تحريك الاسطول واستطاعته أن يحشد بوارجه ويصوب جميع نيرانها على حصن واحد فيقوضه ويدمره بدون أن يستطيع حصن آخر أن ينجده . وهكذا يهاجم الأسطول حصنا بعد آخر فيصيبها التلف جميعا . وهذا ماحدث فعلا

وهذه هى الحركات البحرية الحربية التى نوخاها هذا الأسطول فى ذلك اليوم الأنكد المشئوم .

وكانت حامية الحصـــون مؤلفة من ١ جى طوبجية سواحل وبجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضـــابط وجنديا . وهذا الألاى هو الذى كان فى ذلك اليوم الرهيب مع عيوب هـذه الحصون ونقصها والتفاوت بين القوتين المتحاربتين وضآلة معـــداته يدافع بروحه ودمه عن شرف الجيش والعلم المصرى بشجـاعة تعلى قدره وترفع رأسه . فحيا الله أولئك الأبطال الذين راحوا ضحية الدفاع عن الأوطان وتغمدهم بواسع رحمته ورضوانه .

الحوادث التى سبقت الضرب

شرع الأميرال سيمور من أول يوليه سنة ١٨٨٢م ينتحل سببـا من الأسباب مقبولا أو غير مقبول معقولا أو غير معقول ليتذرع به إلى فتح باب الشر والعدوان حتى يحقق مطامع دولته فى مصر تلك المطامع التى كانت تعمل لها انجلترا منذ زمن بعيد .

ويقال أيضا إن هـــذا الأميرال كان لديه سبب شخصى يدفعه إلى الاسراع فى مباشرة الأعمال الحربية على قدر مايستطيع . ذلك أن أسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالاقلاع إلى البحـر الابيض المتوسط لينضم إلى اسطول الأميرال سيمور ويعـــاونه فى ضرب قلاع الاسكندرية . وقـــد كان الاميرال دويل Dowell قائد اسطول

بحر المانش أرقى منصبا من الاميرال سيمور فاذا انضم اليه بأسطوله كانت له الرياسة قطعا وآل إليه دون سيمور شرف الانتصار إذا أحرزه فى ذلك اليوم .

هذا هو السبب فى تعجل الأميرال سيمور وخلقه للأسباب ولو لم يكن لها وجود .

وانى أسوق هنـــا بعض المكاتبات الرسميـــة التى دونتها الحكومة الانكليزية فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م وهى :

(١)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى أول يوليه سنة ١٨٨٢ الساعة ٧½ صباحا

لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقعة على مسافة قليلة من الجسر (قناة السويس) وفى هذا الموضع معسكر كبير من البدو . ومعسكر الزقازيق تلقى أوامر بحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالفؤوس والزنابيل (يعنى أن النية معقـودة على سد قناة السويس) . وتلقت الأهالى تعليمات أن يتزودوا بالأسلحة . وفى الاسكندرية وحصونها مايربو على عشرة آلاف جندى . والأمداد والعساكر الاحتيـاطية ترد إليها بلا انقطاع . ويقول عرابى إن النبى يزوره كل ليلة ويأمل أن تقع الأساطيل المتحـــدة فى فخ ينصبه ذلك أن يغرق مراكب محمـــلة بالاحجار فى البوغاز . »

(٢)

برقيـة من مستر كارترايت Cartwright قنصل جـنرال انجلترا إلى لورد جرانفيل وزير خارجيتها

الاسكندرية فى ٢ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبـاركم أن مجلس النظار قرر فى جلسته التى عقـدها أمس أنه نظرا لما شوهد من اتخـــاذ بعض استعدادات فى البوارج الحربية أضحى من الواجب رفع عريضـــة إلى السلطان يلتمس فيها الترخيص بتعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ؟

(٣)

برقية من مجلس الأميرالية الانكليزية للأميرال سيمور

الأميرالية فى ٣ يوليه سنة ١٨٨٢

امنعوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصل للميناء. وإذا بوشر إعادة العمل فى الحصون أو نصبت فيهـــا مدافع جديدة فأخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيلولة دون ذلك. وإذا لم يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون وأسكتوا مدافعهـا إذا أطلقت النيران. وهذا بعد أن تعطوا الأهـــالى والسفن التجارية والحـــربية الأجنبية المهلة الـكافية ؟

(٤)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٢

نصب مدفعان جديدان فى قصر فاروس (قلعة قايتباى) فى الليلة الماضية . وقوى حائطه المواجه للبحر أيضا . ويفضل القنصل الجنرال أن أؤجل توجيه الانذار إلى صباح يوم الخميس لكى يجد الأوربيون فرصة للهجرة من القاهرة . ولم يحدث أى تغيير فى الوجهات المشرفة على البحر . وطلب الاميرال الفرنسى استعلامات فوردت له الاجابة من القائد الحربى ومن عرابى اللذين أرسلا الأميرال المصرى ليؤكد أنه ليس هنالك فكرة بعمل سد ما فى مدخل البوعاز ؟

* * *

وفى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢ أخبر مسيو فريسينيه Freycinet رئيس مجلس وزراء فرنسا لورد ليونز Lyons سفير انجلترا فى باريس وهذا بدوره بلغ لورد جرانفيل Granville أنه ورد إليه فى الصباح برقية من الأميرال كونراد Conrad قائد الأسطول الفرنسى بالاسكندرية عن التعليمات التى تلقاها الاميرال سيمور من أجل النيات التى نسبت للحكومة المصرية وقيل عنها انها موجهة ضد الأسطولين الفرنسى والانجليزى . ثم قال الوزير الفرنسى للسفير الانكليزى إنه جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنسية لاتستطيع أن تعطى تعليمات للاميرال كونراد أن يكون مع الأميرال

سيمور وأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع فى ميناء الاسكندرية .

واستطرد مسيو فريسينيه فقال إن الحكومة الفرنسية تعد التصرف بهذه الكيفية عملا عدائيا هجوميا ضد مصر والاشتراك فيه لايمكن أن يكون بدون اخلال بنص الدستور الذى يحظر الدخول فى حرب بدون موافقة مجلسى النواب والشيوخ . وإنه بناء على ذلك قد أرسل إلى الأميرال كونراد تعليمات تقضى عليه بألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحصيناتهم وأن يتراجع إذا صمم الأميرال سيمور على اطلاق المدافع . ا ه

* * *

وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة اليدين وحدها أمام مصر . وهذا الموقف هو الذى كانت تتوق إليه انجلترا لتنفيذ مقاصدها والحصول على بغيتها التى طالما تمنتها من أزمان بعيدة وقد مهد المصريون لها مع الأسف طريق الوصول إلى أمنيتها هذه بخرقهم ونزقهم وسوء تصرفهم .

(٥)

برقية من مستر كارترايت إلى لورد جرانفيل

الاسكندرية فى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبار سعادتكم أن وكيل نظارة البحرية (المصرية)

توجـــه أمس بعد الظهر للأمـــيرال سير بوشامب سيمـــور Beauchamp Seymour وقدم له تقريراً مطمئنا من جهـــة وضع العوائق فى مدخل ميناء الاسكندرية وبعد ذلك بقليـــل تلقى الأميرال إجابة بالكتابة من قومندان الحامية وفيما يلى نصها :

« تلقى الخديو صباح اليوم رسالة برقيـة من السلطان تعلنه بأنه هو ووزراءه مسئولون إذا لم نوقف الأعمال فى الحصون لأن أعمـالا كهذه تدعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية . وسيجتمع مجلس الوزراء فى هذا الصباح لابلاغه هذا الأمر العالى للعمل بمقتضاه » .

(٦)

برقية من الأميرال سيمور إلى الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى ٦ يوليه سنة ١٨٨٢

لقد أكد لى القائد العسكرى ردا على مذكرتى المؤرخـة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفـع جديد فى الحصون ولم ينجز عمـل ما . وصادق درويش باشا على صحـة هذا التصريح . ولم تحدث أية إشـارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهر أمس . ويجوز أن ذلك إنما كان امتثالا لأمر السلطان . وانى لا أتردد فى الضرب إذا واصـــلوا هذه الأعمـــال . وقد تلقى الأميرال الفرنسى الأوامر بالتراجع هو وبوارجه إذا بدىء بالعدوان ؟

وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ وجه قناصل الدول الكبرى الجنرالية بالاسكندرية إلى الأميرال سيمور المذكرة الاجماعية الآتية :ـــ

(٧)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

إن وفرة مصالح رعايانا الكثيرى العدد بالاسكندرية الآن والذين لهم أملاك جسيمة جداً تضطرنا أن نستعلم من جنابكم عما إذا كنتم تعتبرون إجابة الحكومة المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية .

ونحن نرى أنه فى مقدورنا أن نحصل على تأكيدات منها ترضيكم الرضاء التام إذا كان لم يزل يتراءى لكم أن الأجابة المذكورة غير وافية . وستصيروننا شاكرين غاية الشكر إذا عرفتمونا أن هذه المسألة قد سويت وانتهت . أما إذا كان الأمر على نقيض ذلك فأفيدونا عمن نعتمد عليه فى ترحيل رعايانا . وعلى أى حال لايمكن أن يتم ضرب الاسكندرية بدون أن يجر أخطارا جمة على المسيحيين والأهالى معا ولا بدون تدمير مالا يحصى من أملاك الأوروبيين . وسنتقبل بمزيد السرور تكرمكم برفع هذه الملاحظة إلى حكومتكم قبل أن تنفذوا أوامرها التى صدرت بشأن هذه المسألة .

الامضاءات

دى فورجس . بارون سورما . دى مارتينو

دى لكس . بارون كسجك

وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ أجاب الأميرال سيمور على هـــذه المذكرة الاجماعية بالخطاب الآتى :—

(٨)

من ظهر المدرعة انفنسيبيل باسكندرية ٨٢/٧/٧

سادتى .

اتشرف باخبـــاركم بوصـول مذكرتكم الاجمـــاعية التي بعثتم بها الىّ اليوم تسألوننى فيها عما إذا كنت مرتاحا من اجابة القـائد العسكرى على خطابى الذى أرسلته اليه أمس . وانى أشكركم كثيرا على ما عرضتموه علىّ من الحصـول من القائد العســكرى على اجابة مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الأولى كما أرجو أن تتقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تلطفتم بتقديمه الىّ .

فاذا كان نفـوذكم لدى القائد العســكرى يمكن أن يحمله على التصرف باخلاص ويحـول دون استمراره فى أعمـال التحصينات فانكم بذلك تصيبون الهدف المقصود . لأن التأكيدات المكتوبة مهما تكن عباراتها ، قليلة القيمة بالنسبة للمصالح التى اؤتمنت عليها .

ويلزمنى أن ابين لكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا انى أقصـد أن أضرب مدينة الاسكندرية فان أعمالى الحــربية إذا أمست ضرورية فستوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخــوف من وقوع تلف يصيب الأمـــلاك الخصوصية التى أنتم من أجلها فى وجل . وسأبلغ حكومة جلالة الملكة الملاحظة التى لفتم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة

من خطابكم . ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى حينما تحدث أدنى محاولة يقصد بها العودة إلى أعمال دفاعية .

وعلى أى حال فسيعطى انذار نهائى مدته ٢٤ ساعة فقط . واتشرف الخ .؟ الامضاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القيادة

* * *

ويرى من مذكرة القناصل الجنرالية السالفة أنهم بذلوا كل جهودهم فى سبيل تجنب وقوع الحرب وهذا أمر يستوجب لهم الشكر كما يرى أيضا من إجابة الأميرال التصلب ليسد الباب أمام كل تسوية يمكن الاهتداء اليها . لأنه فى اليوم نفسه أرسل بلاغا إلى القائد الحربى هذه صورته :ـ

(٩)

من ظهر البارجة انفنسيل فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

أتشرف باخباركم انى علمت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبا أمس فى خطوط الدفاع المشرفة على البحر وأن بعض استعدادات حربية على وشك النجاز فى واجهة الاسكندرية الشمالية الغرض منها تهديد الاسطول الذى تحت قيادتى . فيجب علىّ والحالة هذه أن اعلنكم انكم ان لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الأعمال

أو تكونوا قد أمرتم بالاقلاع عنهـا يكن من واجبى ضرب الحصون الجارى فيها البناء .

واتشرف بأن أكون الخ . ؟ الامضاء

بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

وأرسل اللواء طلبة عصمت باشا القائد الحربى الاجابة الآتى نصها : ـ

(١٠)

الاسكندرية فى ٢٠ شعبان سنة ١٢٩٩ ـ ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م :-

عزيزى الاميرال الانجليزى .

أتشرف بأن انبئكم بوصول خطابكم المؤرخ يوم ٦ يوليه الذى تذكرون فيه انه اتصل بكم تركيب مدفعين وأن اعمالا أخرى على وشك أن تقام على شاطىء البحر . فردا على ذلك أريد أن أؤكد لكم أن الأخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هذه الأخبار مثل خبر التهديد بسد مدخل البوغاز الذى اتصل بكم وتحققتم كذبه .

هذا وأنى لواثق من شريف عواطفكم المتشبعة بروح الانسانية .

وأرجو قبول احتراماتى ؟ الامضاء

طلبة عصمت
قائد القـوة

وأرسل الخديو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م البرقية الآتى نصها :ـ

(١١)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

من اليوم الذى انقطعت فيه الأعمال حسب أمر جلالة السلطان لم نقم بأى عمل إلى الآن . وقد أذيعت اشاعة مضمونها أن الحكومة تنوى سد مدخل ميناء الاسكندرية وانها تتخذ غير ذلك من التدابير الحربية . وقد توجه قنصلا انجلترا وفرنسا الى راغب باشا للوقوف على الحالة منه فأكد لهما أن هذه اشاعات ليس لها أدنى نصيب من الصحة وان فكرة هذه التدابير لم تخطر بالبال . وبما أن ميناء الاسكندرية مزدحمة بالبوارج الحربية فهذه الحالة تخول لكل بارجة من هذه البوارج حجز كل سفينة تحمل مدافع . وقد أخطر رئيس النظار ناظر البحرية بذلك ، فخرج القنصلان راضيين من هذا البيان . وفى الوقت نفسه كتب الاميرال الى قائد الجنود بالاسكندرية خطابا صرح فيه بأنه مادامت النية معقودة على سد الميناء فيلزمه هو أيضا أن يتخذ احتياطات لوقاية نفسه . فأجابه القائد بأن هذا الخبر ليس له صحة . وذهب بعد ذلك ناظر البحرية وأكد للأميرال الانجليزى هذه التأكيدات فشكره ووعد أن يخبر بذلك حكومته ؟ الامضاء

محمد توفيق

* * *

ولكن كل هذه التصريحات السلبية المطمئنة لم تكف الأميرال سيمور وصمم تصميما نهائيا على ضرب قلاع المدينة بقنابل اسطوله متذرعا بالأسباب التى سبق ذكرها وأرسل البرقية الآتية :ـ

(١٢)

برقية من الأميرال سيمور الى الأميرالية الانجليزية .

الاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

ايماء الى برقيتى المؤرخة فى يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٢ أقول انه ليس هنالك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح . وانى سأخطر قناصل الدول الأجنبية غدا عند شروق الشمس واشرع فى الضرب بعد ٢٤ ساعة ان لم تسلم الىّ الحصون القائمة على البوغاز والتى تشرف على مدخل الميناء ؟

* * *

وعزز مستر كارترايت هذه البرقية بالبرقية الآتية :ـ

(١٣)

برقية من مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية .

من ظهر البارجة هلكن Helicon بالاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

اتشرف باخباركم انه اتصل بالاميرال سير بوشامب سيمور ان مدفعين جديدين نصبا صباح اليوم بحصن السلسلة القائم تجاه الميناء الجديدة .

ولا يستطيع الأميرال أن يلازم الصمت حيال هذا العمل العدائى فقرر أن يطلق النار عند شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ الجارى .

ولقد أخطرت فى هذا المساء القناصل الجنرالية والخديو

ودرويش باشا . وسأعمل الترتيبات اللازمة لترحيل جميع الرعايا البريطانيين على البواخر فى هذا المساء أو غدا صباحا ؟

* * *

ويؤخذ من شهادة الضابط الذى نقل الخبر الى الأميرال أن المدفعين المذكورين كانا من الطراز القديم أى انهما لم يكونا من نوع الششخانة بل كانا من المدافع الملساء التى ليس لقنابلها قوة لاصابة المرمى البعيد حتى تصيب هذه البوارج وتخترق دروعها فتحدث الضرر لهذه السفن . وحصن السلسلة هذا من ناحية أخرى واقع خارج منطقة القتال ولذلك فانه عندما حشدت سفن الأسطول عصر يوم الضرب لاطلاق قنابلها على حصن قايتباى لم تعر حصن السلسلة أدنى التفات مع انه صوب اليها بعض القنابل . فذعر الأميرال كان فى غير محله .

ويقول احمد شفيق باشا فى مذكراته ص ١٦٣ أن مستر كارترايت أشار على الخديو توفيق أن ينزل هو وأسرته إلى احدى البوارج الانجليزية ليكون فى مأمن مما عساه أن يصيب سراى رأس التين لأنها عرضة لقذائف المدرعات فأبى . وهذه المشورة لم تدون فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م غير أنه يؤخذ من رسالة برقية مرسلة من مستر كارترايت الى لورد جرانفيل فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م أن هذا الأمر حدث فعلا . واليك نص هذه الرسالة :ـ

(١٤)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

أتشرف باخبار سعادتكم أن سمو الخديو أرسل فى طلب سير

اوكلاند كلفن Auckland Colvin فى ضحوة هـذا اليوم ليعرض عليـه خطة السير التى ينوى سموه اتخاذها فى هذه الظروف .

فلقـد نوى سموه فى الحالة التى يستقر فيها الرأى على الضرب أن يبقى فى الديار المصرية . وهو يقول فى تعليـــل ذلك انه لايستطيع أن يترك جميع أولئك الذين ظـــلوا فى معيته وأولوه فى غضون هذه الفتنة إخلاصهم ، كما أنه من جهـة أخرى لايستطيع أن يهجر مصر إذا أغارت عليها دولة أجنبية إذ يقال حينئذ انه بارحهـــا لينجو بنفسه . أما إذا احتلت الترك مصر وصادف هـذا الاحتـلال مقاومة فان سموه ودرويش باشا يعلـان الجيش عندئذ بأنهما بصفتهما من رعايا السلطان المخلصين لجـلالته لايكونان قـد أدبا واجبهما إذا عضدا هـذه المقاومة . وفى هذه الحالة ينطلقان بأحسن الوسائل الممكنة الى يخت درويش باشا .

وأعرب سمـــوه عن نيته فى الانصراف هو ودرويش باشـا الى أحد القصور القائمة عـــلى شـاطىء المحمودية اذا كان الضرب من جانب الأسطول الانجلـيزى وانه بقـدر الاسراع فى انجاز الضرب يقل الخطر الذى يحيق بشخص الخديو .

وكان سموه أثنـاء هذه المقـــابلة رابط الجأش يتكلم بصوت هادىء واختتم الحـــديث بتوجيه الرجاء الى ســـير أوكلاند أن يبلغ قراره هذا الى سعادتكم .

ولقد عقدت العزم على أن أخـــبر درويش باشا انه فى حالة حدوث ضرب تلقى حكومة صاحبة الجـــلالة البريطانية عليـه مسئولية

سلامة الخديو الشخصية وأمنه .

ولى الشرف . الخ .. ؟ الامضـــاء
كارترايت

وفى اليوم التـالى ورد الى مستر كارترايت من لورد جرانفيـل الرد بالبرقية الآتية :ـ

(١٥)

وزارة الخارجية البريطانية فى ٨ يوليه سنة ١٨٨٢

تصادق حكومة صاحبة الجـــلالة البريطانية عـلى البلاغ الذى أخـبرتمونا عنه ببرقيتكم أمس التى ذكرتم فيها أنكم تنوون عنـدما تدعو الحالة لضرب الحـصون أن تلقوا عـــلى عاتق درويش باشا مسئولية أمن الخديو وسلامته .

وانا لكم . الخ ... الامضـــاء
جرانفيل

* * *

ومن المرجح أن المشورة التى عرضت على الخــــديو بضيافته على ظهر سفينة حربية انكلـــيزية كانت لغرض سياسى لالشىء آخر . لأن وجود حاكم البلد فى احـــدى سفنهم يجعل لضربهم صبغـــة شرعية كما حـــدث بعد ذلك فى حركاتهم العسكرية التي افضت الى احتلال البلاد .

وعلى كل حال فاجابة الخـــديو تشرفه ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يتبع هذه الخطة معهم الى النهاية .

وأرسل مستر كارترايت الى قناصل الدول الجنرالية وفقا للبرقية التى بعث بها الى لورد جرانفيل المذكرة الآتية :ـ

(١٦)

الاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى

أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه إعلان كافة الأشخاص التابعين لحكومتكم بأن يكونوا فى البواخر الراسية فى الميناء فى مدة ٢٤ ساعة تمر من تاريخ هذا الأعلان ؟

وكتب أيضاً مستر كارترايت الى درويش باشا الخطاب الآتى :ـ

(١٧)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

الى صاحب السعادة

بناء على بلاغ الاميرال سير بوشامب سيمور الذى وجهه الى قائد الاسكندرية الحربى فى صباح هذا اليوم أرانى بصفتى وكيل وقنصل جنرال حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالنيابة ، مضطراً الى أن أخلى وكالة جلالتها بالاسكندرية وأن أقطع مؤقتاً العلائق التى كانت الى الآن بينى وبين نظارة الخارجية المصرية .

ثم أخبركم بأنى مكلف بأن أعلن سعادتكم بالضرورة الماسة لكفالة سلامة سمو الخديو فى كل الظروف ، وان حكومة جلالة الملكة تأمل من سعادتكم أن تشملوا وقاية سموه وأسرته بكل أنواع

الاحتياطات التى تستدعيها الأحوال باستعمال نفوذكم المستمد من نيابتكم عن جلالة السلطان . وانكم لتعلمون ان سموه لاينكص أمام الأخطار الجسيمة التى يعرضه لها موقفه الحالى بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات . فحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتني أن أعلم دولتكم بأن عليكم — بحسب رأيها — مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الأخطار التى يمكن أن تحيط بسموه فى أثناء هذه الحوادث ؟

فأجابه درويش باشا بالجواب الآتى :—

(١٨)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

عزيزى نائب القنصل الجنرال

تسلمت خطابكم المؤرخ فى ١٠ الجارى الذى شرفتمونى بارساله إلىّ ويمكننى أن أؤكد لكم أنى بذلت كل جهدى فى القيام بالمهمة التي تفضل جلالة السلطان وعهد بها الىّ .

ولقد عز علىّ أن أدرك السبب الذى من أجله انساق الأسطول الانكليزى لجأة منذ أمس الى ابداء هذه النيات العدوانية بعد أن لبث مدة مديدة ملقياً مراسيه فى ميناء الاسكندرية لم يظهر فى خلالها إلا اميالا سلمية .

إن العلائق الودية بين السلطنة العثمانية وبريطانيا العظمى مازالت باقية . وحيث إن مصر هي إحدى ولايات السلطنة فكان

فى استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولا وجوه شكايته التى استوجبت التدابير التى اتخذها ، بطريقة ودية . وكان فى الامكان مراجعتها والنظر فى وسيلة لملافاة الشر . ومتى ظهر مرتكبو الأعمال التى أوجبت الشكوى يكن فى الاستطاعة إنزال العقاب بهم .

ويبدو لى اننا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الأمر قد آل إلى توطيد العلائق الودية بين المملكتين عوضاً عن الانسياق فى تيار العدوان .

ولقد أتاحت الفرصة لسعادة راغب باشا ولوكيل نظارة البحرية ان يؤكد لكم وللأميرال أنه لم يخطر ببال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلائق الحسنة .

ومن المهم البحث عمن تقع عليه المسئولية اذا كان جواب تصريحات حكومة متشبعة بروح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيدات الضرورية ،هو القيام بأعمال عدوانية لاتستند الى المبادىء التى تسود العلائق بين دولتين متحابتين .

أما التنبيه الذى وجهتموه الىّ أن أكفل بكل مالدى من الوسائل سلامة سمو الخديو فيجب علىّ أن ألفت أنظاركم الى أنه ليس من الصواب ايجاد تمييز بين شخصية سمو الخديو توفيق باشا السامية وحكومته . وإنه لمن الطبيعى جدا ان سموه مازال يعني بسلامة وهناء البلاد التى يحكمها أكثر مما يعنى بسلامة شخصه .

وتفضلوا بقبول الخ ... ؟   منـــدوب جلالة السلطان

الامضـــاء

درويش

وأرسل الأميرال سيمور من جهة أخرى إلى قائد الاسكندرية الحربى الرسالة الآتيـــة :—

(١٩)

من ظهر البـــارجة انفنسيبل بالاسكندرية فى ١٠ يوليـــه سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

اتشرف باخبـــار سعادتكم أنه نظراً لحدوث اســـتعدادات حربيـــة آخذة فى الازدياد منذ يوم أمس فى حصون السلسلة وفاروس (قايتبـــاى) وصالح . وهذه الاستعدادات موجهة بالطبـــع الى الاسطول الذى تحت قيادتى، قد عقـــدت العزم على أن أنفذ غداً (١١ الجارى) عنـــد شروق الشمس العمل الذى أعربت لكم عنه فى خطابى المؤرخ يوم ٦ الجارى إن لم تسلموا لى حالا قبـــل هذه الســـاعة البطاريات المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى شط ميناء الاسكندرية الجنوبى لمنع التسلح بها .

ولى الشرف الخ ... ؟   الامضاء

سيمـــور

ولكى يستطيع القارىء أن يتبين الخطر الطفيف الذى كان الأسطول الانكليزى مستهدفاً له أورد هنا شهادة رجل انكليزى هو مستر رويل Royle الذى كان محامياً بالاسكندرية ثم عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية . فقد ذكر فى مؤلفه ذى اجبشيان كامبينز The Egyptian Campaigns ص ٦٣ هذا الانذار النهائى ثم قال : إن الخطر الذى كانت تستهدف له بوارج الأميرال من جراء الاستعدادات المصرية لم يكن إلا خطراً وهمياً فى ذلك الوقت . ولو فرضنا وكان خطراً حقيقياً لكان فى الامكان السلامة منه والبعد عنه اذا غير الأميرال موقف سفنه تغييراً طفيفاً .

وقد أمسى فى الوقت نفسه تهديده بضرب الحصون بعد حوادث ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ من بعض الوجوه ضروريا حتى لو لم يكن ذلك إلا لاعادة كرامة الأوربيين . وفضلا عما ذكر فانه كان يمهد بهذا الضرب أول خطوة فى سبيل ملاشاة سطوة عرابى وجيشه الذى كان محشوداً إلى حد كبير بالاسكندرية . اه

والقسم الأول من هذا الكلام يطابق الحقيقة . أما القسم الثانى فالغرض منه تلطيف هذا الفعل بادماج الكرامة الاوربية فيه حتى كأن الدول الأخرى قد فوضت انجلترا فى القيام بهذا العمل نيابة عنها .

وأرسل أيضاً مستر كارترايت إلى راغب باشا رئيس النظار

الخطـاب التـالى :ـ

(٢٠)

من ظهر البارجة تانچور Tanjore بالاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى الوزير .

بناء على البلاغ الذى قدمه الأميرال سير بوشامپ سيمور فى هذا الصـــباح الى القـائد الحربى بالاسكندرية ، أرانى مضطراً إلى أن أخلى قنصلية صاحبة الجلالة البريطانية وأن أقطع الآن العـــلائق التى كانت بين سعادتـكم وبين شخصى بصفتى اتى وكيل وقنصـــل جنرال بالنيابة عن جلالتها فى مصر .

ولى الشرف الخ . . . ؟ الامضـــاء
كارترايت

* * *

ولما تلقى راغب باشا هذا البـــلاغ ولم يكن قد اطلع من قبل على الانذار النهـائى طلب من مسيو دى مارتينو de Martino قنصـل جنرال ايطاليا وأقـــدم السفراء أن يتكرم باستدعاء زملائه الفرنسى والألمانى والنمساوى والروسى على ظهر المدرعة الايطالية (كاستلفيداردو Castelfidardo) فى محل وجودهـــا ليقوموا بمســـاع أخرى لدى الأميرال . وفعلا لبى القنصـــل الطلب واستدعاهم ولكنهم بعد أن اجتمعوا ظهر لهم أن الوقت قد فات .

ولما ذهب راغب باشا بصحبة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وتجران بك سكرتير مجلس النظـــار وقابلوا مسيو دى مارتينـــو فى

نحو الساعة الحادية عشرة صباحا لم يستطع الا أن ينصح راغب باشا أن يسعى هو بنفسه لدى الأميرال فتوجه رئيس النظار ورفيقاه الى البارجة انفنسيبل وهناك تلقى الانذار النهائى . وبعد مناقشة طويلة قبل الأميرال تلطيفا فى شروطه لم يكن فى الحقيقة إلا تغييرا طفيفا وهو ينحصر فى انزال كافة المدافع التي فى الحصون المشرفة على البحر وأن يقوم بهذه العملية الجنود المصرية تحت اشراف ضباط من الانكليز وبارح راغب باشا ورفاقه سفينة الأميرال بعد أن وعد بارسال الاجابة فى المساء وتوجهوا فى الحال الى قصر رأس التين وعرضوا على الخديو ودرويش باشا نتيجة سعيهم . فطلب الخديو عقد جلسة غير عادية لفحص الموقف وتمحيصه حضرها (١) الخديو توفيق (٢) المشير درويش باشا (٣) قدرى بك سكرتير المشير (٤) السيد احمد أسعد عضو الوفد العثمانى (٥) اسماعيل باشا راغب رئيس النظار وناظر الخارجية (٦) احمد باشا راشد ناظر الداخلية (٧) عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية (٨) أحمد باشا عرابى ناظر الجهادية والبحرية (٩) على باشا ابراهيم ناظر الحقانية (١٠) سليمان باشا اباظه ناظر المعارف (١١) محمود باشا الفلكى ناظر الاشغال (١٢) حسن باشا الشريعى ناظر الأوقاف (١٣) لطيف باشا من نظار البحرية السابقين (١٤) حافظ باشا من نظار المالية السابقين (١٥) محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب (١٦) اسماعيل باشا حق ابو جبل عضو مجلس الشيوخ (١٧) محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ (١٨) محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية (١٩) قاسم باشا من وكلاء نظارة

البحرية السابقين (٢٠) محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق (٢١) محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام (٢٢) طلبة باشا عصمت القائد الحربى للاسكندرية (٢٣) تجران بك سكرتير مجلس النظار .

وكانت الجلسة متحمسة كثيرا والمناقشة حادة جدا والآراء متضاربة إلى أقصى حد . ويبدو أن حافظ باشا واسماعيل باشا ولطيف باشا كان من رأيهم التسليم بشروط الأميرال . ويقول أحمد باشا شفيق فى مذكراته ص ١٦٢ إن درويش باشا توجه إلى طابية الفنار مع محمد ياور افندى من ضباط الحرس الخديو لاختبارها واختبار المدافع المنصوبة فيها وقال فى هذا المجلس إنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التى بها لا تستطيع مطلقا أن تقاوم مدافع المدرعات الانكليزية . وقال أيضا انه لو وثق بأن مصر تستطيع المقـاومة لتولى بنفسه قيـادة جيشها ولذا نصح لعرابى باشا بقبول طلبات الأميرال سيمور .

وأذكر هنا حجة أخرى قيمة جدا هى ماقاله مرعشلى باشا مدير التحصينات العام السابق الذى حضر هذا الاجتماع الحافل وأبدى رأيه فى هذه المشكلة ونحن نرى رأيه هذا رأى رجل عاقل جدا فضلا عن أنه اخصائى ملم بمهنته تمام الالمـام . ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن الآراء الحصيفة التي يمثلها رأى هـذا الخبير تهمل ولا يعمـل بها فى وسط ساد فيه التحمس . وهـاك قطعة من تقريره الذى قدمه الى لجنـة التفتيش التى تألفت لمحاكمة المدنيين فى هذه الحوادث وفيه اثبت هـذا الرأى ، نثبتها هنا بنصها قال :—

فى يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ (٩ يوليه سنة ١٨٨٢)
وردت لنا بوصلة من سعادة أحمد باشا رشيد ناظر الداخلية هذه صورتها :

بناء على التلغراف الوارد لنا من عطوفتلو رئيس مجلس النظار باسكندرية مقتضى توجه سعادتكم لاسكندرية بالوابور المخصوص القائم من مصر يوم تاريخه بعد الظهر بربع ساعة للمذاكرة فى مسألة مهمة . فالأمل التشريف بالحضور لمحطة مصر فى الميعاد المرقوم لأجل التوجه معنا نحن وبعض سعادات الذوات المتوجهين أيضا أفندم ؟

فبناء على هذه البوصلة قد توجهنا إلى الاسكندرية فى ليلة ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ (١٠ يوليه سنة ١٨٨٢م) وفى صباح اليوم المذكور باجتماع المجلس بسراى رأس التين مركبا من هيئة النظار والذوات الملكية والجهادية وجد إعلان وارد من أميرال دونانمة الانكليز مذكور به أنه بعد صدور أمر الدولة العلية بتوقيف تصليح الاستحكامات وتركيب المدافع والتجهيزات الحربية الجارية بمعرفة عرابى ورفقاه ضد الدونانمة قومانداريتى وصدور أمر الحضرة الخديوية إليهم بذلك وامتثالهم لهذا الأمر لم يزالوا جارين التجهيزات ليلا ونهارا لغاية أمس وأجروا تركيب ثلاثة مدافع بأحدى الطوابى فلعدم امتثالهم للأوامر وبناء على الأمر الصادر لى من دولتى مجبور بضرب الطوابى باكر صباحا وإلا يصير نزول المدافع من على قناديقها للأرض مؤقتا حتى تنتهى المسئلة . ومن أجل ذلك توجه عطوفتلو راغب باشا مع سعادة عبد الرحمن بك ناظر المالية

وسعادة قاسم باشا وكيل البحرية سابقا إلى الأميرال بالبحر لأجل المرسى معه عن ذلك . وبعد عودتهم عرفوا بأن الأميرال لم يزل مصمما على رأيه فلذلك انعقد المجلس ثانيا بعد الظهر تحت رياسة الحضرة الخديوية . وبالمداولة فيه كان العرض للأعتاب من سعادة محمود باشا الفلكى عن لزوم النظر فى أخف الضررين إما قبول الضرب أو نزول المدافع . ولذا يلزم السؤال عن أحوال الطوابى ومدة مقاومتها لمقذوفات مدافع الدونانمة من مرعشلى باشا حيث أنه خبير بذلك . فبوقته سألنى حضرة الخديو عن ذلك فكان جوابى إن صاحب الوظيفة الآن محمود فهمى يسئل منه . وبتوجيه السؤال إليه أجاب بأن طوابى سواحل اسكندرية تقاوم مقذوفات الدونانمة مدة ثلاثة شهور . فبوقته فهمت من مجاوبته أنها إما أن تكون على جهل منه أو لغرض تقوية عزم العصاة . وباعادة استفهام الحضرة الخديوية منى عن ذلك أجبت بأن طوابى اسكندرية لاتتحمل أكثر من أربع وعشرين ساعة إذا كان الضرب مستمرا وفى ظرف أربع أو خمس ساعات تتخرب الطوابى وأغلب المدافع تلقى على الأرض من إصابة المقذوفات لكونها مكشوفة ويكون بداخل الطوابى مثل مجزرة من العساكر القتلى المصابين من الكلل والشرنبالات ومن انتشار قطع الأحجار التى تصادمها الكلل فى الأبنية العالية . وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية من زمن مديد بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة . والأسلحة الجديدة لها تأثير أكبر

من الاسلحة القديمة . والمراكب الخشب تغيرت بمراكب زرخ .
وأما تلك الطوابى فانه لم يحصل فيها تغيير . فاذا كان التصميم على
الضرب فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر لايلزم دخولها بالطوابى
وقت الضرب . فكانت المعارضة لى من محمود فهمى بأقواله إنه حضر
محاربة حدود الصرب وانه نظر تأثيرات كلل وشرنبالات بكثرة
وما كان يخاف منها . كذا عارض طلبة أيضا بقوله نحن يلزمنا
أن نذبح بكلة الانكليز تحت المدافع ولا نتركها بدون عساكر .
وكذا عارض عرابى بقوله انه إذا تركنا الطوابى بدون عساكر
فان الانكليز بعد أن يخربوها فى الحال توضع بها بنديرات الانكليز .
وقال أيضا هل كلل الانجليز تؤثر بطوابينا وكللنا لاتؤثر بالمراكب .
فكانت المجاوبة منى لعرابى أن المدافع التى بطوابينا تأثيرها فى المراكب
قليل جدا وأغلب المدافع من الطراز القديم ولا يكون لها أدنى تأثير
فى مراكب الزرخ وفضلا عن ذلك فأن مدافعهم وعساكرهم فى داخل
أود من الحديد وأما عساكرنا ومدافعنا فأنهم فى الكشف تنزل عليهم
الشرنبالات والكلل بكثرة مثل المطر وتتلفهم فى أقرب
زمن . وأما القول عن الانكليز انهم بعد تخريب الطوابى
يضعون البنديرة بها فهذا ليس من السهل بما أنهم ليسوا هم من
الطير حتى يمكنهم من مسافة نحو الألف وخمسمائة متر أن يطيروا
ويدخلوا الطوابى لأنهم متى أرادوا التوجه على الطوابى يلزمهم
تنزيل عساكرهم فى صنادل لأجل طلوعهم على الساحل . فبوقتها

يلزم على العساكر التى فى البر أن يستعدوا للمدافعة وعدم ترك الانكليز لأن يطلعوا على البر . وفى ذلك صعوبة جدا للهاجمين بالنسبة لفن الحرب . فما كان يقبل أقوالنا وطعن فى حقنا . ونحن كذلك جاوبناه بما لزم . وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة عداوة مع المذكورين علاوة على العداوة الأصلية الناتج منها اخلاؤنا من الوظيفة . وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصاة وارتجاعهم عن المقاومة وتنزيل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين . ثم بعد تلك المحاورات التى حصلت بالمجلس فى مساء يومها جهزوا العساكر طوبجية وبيادة وأهالى متطوعين بطوابى الساحل . وفى الصباح حصل الضرب من الطرفين . وبحال الضرب تلاحظ أن الضرب من المراكب ما كان إلا للطوابى التى بها العساكر فقط وتركوا الطوابى التي لم يكن بها عساكر بدون ضرب . ثم تلاحظ أن رؤساء العصاة بدلا عن أنهم يصيرون بالطوابى حال الضرب حتى يصير جزرهم تحت المدافع كأقوالهم بالمجلس هربوا وتوجهوا إلى طابية الدماس المنيعة وأخفوا أنفسهم تحت العقودات من ضرب الكال حتى تسبب مما حصل من اجراآتهم وحالة الضرب مهاجرة الأهالى فتركوا أمتعتهم وأموالهم وهم فى اسوأ حال . وكذا الذوات السابق حضورهم من المحروسة هاجروا معهم . ومن ذلك اتضح تأييد صحة أقوالنا التى أبديناها بالمجلس بشأن عدم وضع عساكر بالطوابى فاذا كان لم يحصل مبارزة العصاة بوضع عساكر بالطوابى

كما أورينا ما كان الاميرال يأمر بضربها ولا كان يحصل شيء من التلفيات . ثم لما رأينا هذه الحالة وبتهددى من العصاة بالكلام حال وجودى معهم وقت الضرب بطابية الدماس مع أغلب النظار وعدم وجود منزل لنا ولا مأوى باسكندرية ولم يكن لى وظيفة تستوجب ابقاءنا بها فضلا عن صعوبة الحالة التى كانت حاصلة وخشية من حصول اضرارى من العصاة لما نظر من أحوالهم وعدم استعدادى بلوازم الاقامة باسكندرية ، حضرنا مع الذوات إلى المحروسة الخ الخ ..اهـ

وهناك رواية أخرى عن هذا الاجتماع رواها مسيو بيوڤيس Biovés فى الصفحة ١٥٠ من كتابه (الفرنسيون والانكليز فى مصر Français et Anglais en Egypte) وهذه الرواية لم أنقلها هنا إلا بعد أن تحققت من مطالعة هذا الكتاب أنه من أحسن الكتب التى سطرت عن هذه المأساة المحزنة وأن مؤلفه كان مسموحا له بالاطلاع على جميع المستندات الرسمية لذلك الحادث المشئوم . وفوق هذا فان معلوماته مستقاة من مصادر صحيحة معتبرة . وإليك ماقاله فى هذا الصدد :—

لقد كان الخديو توفيق يرغب فى عقد اتفاقية صلح شريفة بينه وبين الانكليز ولكن هذا المطمح أثار غضب المشير (درويش باشا) الذى ضرب المائدة بقبضة يده وصاح قائلا : لاتنسوا أنكم جميعا عبيد السلطان الذى مقره بالآستانة ، وليس هنا محل

للمداولة ، وتسليم الحصون المصرية أمر يكسو المسلمين ثوب الخزى والعار . اهـ

أما أنا شخصيا فأرجح أن درويش باشا كان معارضا لطلب الأميرال سيمور كما يستفاد من منطوق الخطاب السالف الذكر الذى بعث به إلى مستر كارترايت .

ومهما يكن بين هذه الروايات من التناقض فقد تقرر بعد المناقشة أبلاغ الأميرال فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢ القرار التالى ردا على انذاره :ـ

(٢١)

لم تعمل مصر شيئا يقضى بارسال هذه الأساطيل المتجمعة . ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض اصلاحات اضطرارية فى أبنية قديمة . والطوابى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل . ونحن هنا فى وطننا وبيتنا . فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الانكليزية إنها باقية بيننا .

ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طابية دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مسئوليات

جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل أو عن إطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الاسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الانسان ولقوانين الحرب .اه

وأيضا تقرر من باب المسالمة قبول إنزال ثلاثة مدافع يختارها الأميرال وإذا أبى وأصر تلقى عليه مسئولية التعدى وذلك بعدم المجاوبة إلا بعد إطلاق القنبلة الخامسة . وقد بلغ راغب باشا الأميرال سيمور ذلك بالخطاب الآتى :—

(٢٢)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

حضرة الأميرال

طبقا لما سبق أن وعدتكم به فى أثناء المحادثة التى دارت بينى وبينكم هذا الصباح رفعت لسمو الخديو فى اجتماع حافل بالنظار وكبار موظفى الحكومة الشروط المدونة فى الخطاب الذى تكرمتم بارساله الى قومندان الاسكندرية فى بكرة هذا النهار وذكرتم فيه أنكم نويتم تنفيذ أغراضكم المبينة بخطابكم اليه يوم ٦ من الشهر الحالى فى فجر الغد (١١ الجارى) وذلك اذا لم تسلم لكم مؤقتا البطاريات القائمة على برزخ رأس التين وساحل ميناء الاسكندرية الجنوبى لتجريدها من السلاح قبل هذه المهلة .

وانى لآسف ياحضرة الأميرال أن أعلمكم بأن حكومة سموه

تعتبر هذا الطلب غير مقبول وانها لاترغب قط فى تكدير صفو العلاقات بينها وبين بريطانيا العظمى ولكنها لا تستطيع أن تعترف بأنها اتخذت أى تدبير يمكن أن يعتبر تهديدا للأسطول الانكليزى سواء أكان ذلك من جهة إقامة أعمال فى الحصون أم من ناحية تركيب مدافع بها أو استعدادات حربية .

ومع ذلك فنحن مستعدون أن ننزل ثلاثة مدافع من البطاريات التى أومأتم اليها لنبرهن لكم على أميالنا السلمية ورغبتنا فى تلبية طلبكم على قدر الامكان .

واذا كنتم تصرون رغم هذه التقدمة على إطلاق النار فالحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق وتلقى مسئولية هذا العمل العدائى على عاتقكم .

وتفضل ياجناب الأميرال بقبول الخ . ؟

رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية
الامضاء
اسماعيل راغب

* * *

وتسلم هذا الخطاب ياور درويش باشا وضابطان مصريان لتوصيله للأميرال ولكن بسبب أن جميع السفن كانت أنوارها مطفأة لأنها كانت تعتبر الحالة وقتئذ حالة حرب أمست الميناء تسبح فى ظلام دامس ولم يستطع هؤلاء الضباط أن يجدوا سفينة الأميرال ليسلموه هذا الخطاب فى نفس تلك العشية .

وفى صباح ١١ يوليه توجهوا الى البارجة هلكن وهذه

أوصلتهم إلى الأنفنسيبل التي كان بها الأميرال وسلموه خطاب راغب باشا فى الساعة السادسة صباحا .

وبعد أن أطلع عليه الأميرال وعلم ما جاء به أرســـل معهم الرد السلبي الآتى :ـــ

(٢٣)

من ظهر البارجة انفنسيبل بالاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

ياصاحب السعادة

أتشرف باخباركم بوصـــول بلاغكم المؤرخ بتاريخ أمس وأنى آسف أن أخـــبركم أنه ليس فى استطاعتى أن أقبل ماعرضتمـــوه فى هذا البـــلاغ .

ولى الشرف الخ..؟

رئيس قومندانية القوة البحرية البريطانية فى البحر الابيض المتوسط
الامضاء
بوشامب سيمور

وانصرف هؤلاء الضباط ومعهم الرد وانتظر الأميرال وصولهم الى البر ثم أعطى الاشارة باطلاق النار .

وقبل حصول الضرب أرسل لورد جرانفيل باسم حكومته الى ممثلى حكومة صاحبة الجـــلالة البريطانية فى باريس وبرلين وفينا وروما وسان بترسبرج والآستـــانة البرقية التـــالية اتماما لسلسلة هذه

المكاتبات وتبريرا للعمل الذى لا أجد ما أصفه به الوصف الكافى والذى أوشك أن يحدث ، واليك نص هذه البرقية :—

(٢٤)

وزارة الخارجية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

بناء على برقيتى التى أرسلتها أمس مساء بينوا للحكومة التى أنتم معتمدون لديها أن الخطة التى أنبأنا أميرالنا أنه سيسير عليها ليست أكثر من عمل دفاعى بسيط ومشروع ـ وأما قتاله ـ اذا كانت تدعو الضرورة لسوء الحظ الى قتال ، فسيباشره لهذه الغاية وبدون أية فكرة أخرى.

ويتضح من تقريره أن أولى الأمر والنهى بالاسكندرية على وشك أن يقوموا باستعدادات عدوانية ويضربوا بأوامر السلطان ورغبات الخديو عرض الحائط رغما عن تأكيداتهم الايجابية ؟

وأرسل إلى لورد دوفرين Lord Dufferin برقية واحدة بقصد خداع السلطنة العثمانية، وهى :ـ

(٢٥)

يجول بفكرنا أن مانقوم به من الأعمال لم يكن إلا فى صالح السلطان الذى يستخفون بسيطرته ؟

☆ ☆ ☆

فهل من الممكن تغيير الحقيقة بجرأة أشد من هذه الجرأة ؟ ومن أى جانب يكون الدفاع المشروع ؟ أمن جانب أسطول قوى قدم مياه بلد وصار يصوب مدافعه وقاذفات

أنواره الكهربائية كل ليلة على حصون هذا البلد ؟ أم من جانب أهالى هذا البلد الذين عندما رأوا ذلك أخذوا يحاولون ـ تأمينا على حياتهم ـ القيام ببعض ترميمات تافهة غير مجدية فى حصونهم العتيقة ؟

نعم لانزاع فى أن القوة تصير الباطل حقا ولكنها فى الحالة الحاضرة جاوزت فى انتهاكها للحق كل حد .

وكان هنالك على ماأرى وسيلتان للخروج من هذا المأزق :ـ

الوسيلة الأولى التى أوعز بها مرعشلى باشا وهى تقضى بالكف عن مجاوبة نيران الاسطول الانجليزى واخلاء الحصون من الجنود وبهذه الكيفية يكون الانجليز نالوا مشتهاهم واذا استمروا بعد ذلك على تصويب مقذوفات مدافعهم على حصون لم تقابل عدوانهم بمثله لأجل نسف مدافعها يكونون قد أتوا بعمل لايشرفهم ولا يهىء لهم أى حجة لاحتلال المدينة ، وبهذه الوسيلة نكون قد تجنبنا خسارة جنودنا الأبطال الذين راحوا ضحية فى ذلك اليوم المشئوم .

والوسيلة الثانية هى ـ أنه كان يوجد فى ميناء الاسكندرية بوارج حربية لكل الدول فكان فى الاستطاعة الاتفاق معها على أن ترسل كل واحدة منها فريقا من بحارتها إلى البر وتعهد اليها حراسة الحصون المطلة على البحر . وبهذه الكيفية لايكون للأميرال حجة يتمسك بها ويزعم

أنه مهدد واذا استمر بعد ذلك على تنفيذ خطته ولم يجنح الى السلم وجد أوروبا كلها أمامه .

ويظهر لى أن هذين الحلين كانا هما السبيل الوحيد لاجتياز مصر هذه العقبة الخطرة . ولكن شاءت الأقدار غير ذلك بعد أن فرغ كل مافى جعبتها من وسائل السلم فأقبلت على الخضوع الى ماقدر لها فى عالم الغيب ومكابدة احتمال فوادح الخطوب من احتلال أجنبي أعقبه بتر أكبر قسم من أراضيها .

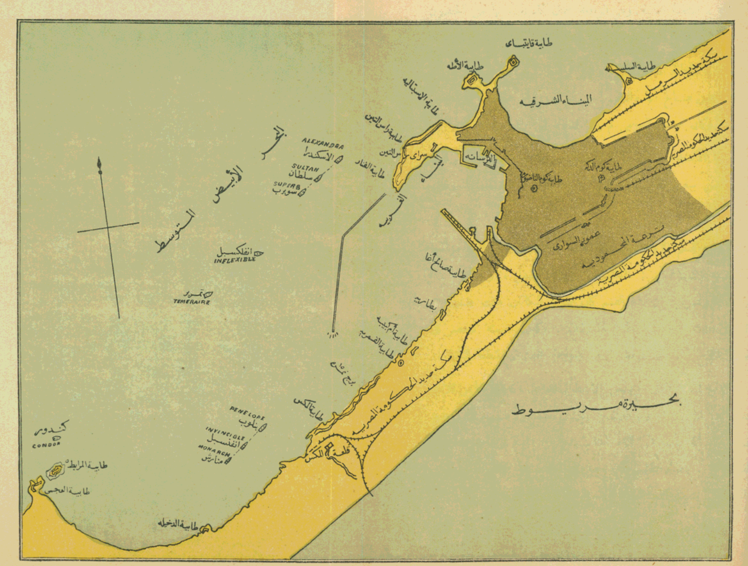
مواقع الحصون
من موقف الأسطول

قبل أن أتكلم عن ضرب الأسطول لحصون الاسكندرية يجدر بى أن أبين مواقع الحصون بالنسبة للأسطول ليكون الأمر أمام عين القارىء فى صورة واضحة جلية .

إن حصون الاسكندرية القائمة على طول شاطيء البحر تنقسم إلى ثلاث مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول :ـ

١ ـ المنطقة الأولى . وهى الواقعة شرق المدينة ، ليس بها غير حصن السلسلة . وهذا الحصن لانعده قد اشترك فى القتال وان كان قد أطلق بعض طلقات على السفن التى كانت تصوب مقذوفات مدافعها على قلعة قايتباى . لأن هذه السفن لم تجاوبه بتاتا فلم يصب بضرر ما .

خريطة حصون الاسكندريه والسفن الانكليزيه التى ضربتها فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م



٢ ـ المنطقة الثانية . وهى الواقعة شمال المدينة ، بها من الحصون حصن قايتباى والهلالية والأطة والاسبتالية ورأس التين والفنار .

٣ ـ المنطقة الثالثة . وهى الواقعة غرب المدينة ، بها من الحصون حصن صالح أغا والبرج رقم ١٥ وأم قبيبة والعجمى والمرابط . وكان حصن العجمى لم يتم انشاؤه إلى وقت الضرب .

أما الأسطول الانجليزى فكان مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة وخمس سفن صغيرة غير مدرعة . وقد انقسمت المدرعات الى قسمين :ـ

١ ـ القسم الأول ، ويسمى الأسطول الخارجى ، كان مؤلفا من المدرعات الخمس : الكسندرا ، وانفلكسيبل ، وسلطان ، وسوپرب ، وتمرير . وهذا القسم كان يقوده الكابتن هنت جرب Hunt Grubbe قائد المدرعة سلطان . وكانت مهمته تنحصر فى الوقوف خارج الميناء فى عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

٢ ـ القسم الثانى ، ويسمى الاسطول الداخلى ، كان مؤلفا من ثلاث مدرعات هى انفنسيبل ، ومونارك ، وپنلوپ بقيادة الأميرال سيمور وكانت مهمته أن يقف فى الجزء المتقدم من الميناء ويهاجم حصون المنطقة الثالثة . وهذا التقسيم كان سببا فى انتقال الأميرال سيمور من الكسندرا سفينة القيادة لهذا الاسطول إلى المدرعة انفنسيبل .

وأما السفن الخمس الصغيرة فقد تلقت الأمر بأن تقف

خارج منطقة مرمى القنابل الى أن تحين الفرصة المناسبة التى تسمح لها بالاشتراك فى مهاجمة حصون المنطقة الثالثة نظرا لقصر عمق غاطسها .

وكانت الخطة المرسومة لكلا قسمى الأسطول كما قلنا آنفا أن تصوب مدرعاته نيران مدافعها كلها سوية الى حصن واحد وبعد أن تسكته تقصد الى الحصن الذى يليه وتقوم بنفس العمل الذى عملته مع الحصن السالف . وهكذا دواليك مع باقى الحصون إلى أن تسكت جميعا سكوتا تاما .

وبما أن العمل بهذه الكيفية أى تصويب قوة كل الأسطول فى آن واحد الى حصن واحد، من شأنه أن يجعل الأسطول متفوقا على هذا الحصن الواحد تفوقا كبيرا، فقد بذل القومندان جودريتش مجهودا كبيرا ليصل الى الموازنة بين القوتين فى الجانبين فى مختلف المعارك التى دارت رحاها بهذه الكيفية بين الأسطول والحصون وبين كل واحدة منها على حدة . وهذه هى النتيجة التى حصل عليها :—

النسبة بين قوة الحصون وقوة الاسطول

قوة حصن قايتباى بالنسبة للأسطول الذى هاجمه	٤ : ٣٣
« « الأطة « « « «	٥ : ٣٣
« « رأس التين « « « «	٧ : ٢٦
« « الفنار « « « «	٤ : ٢٦
« « المكس « « « «	٥ . ١٦

وقد قال القومندان جودريتش بعد ذكر هذه الموازنة إنه يعدها دون الحقيقة بالنسبة للأسطول لتفوق عيار مدافعه على عيار المدافع المصرية .

وإذا أضفنا الى ذلك تفوق رجال المدفعية الانكليزية بالنسبة لتجاربهم على رجال المدفعية المصرية لعدم مرانهم كان البون بينهما سحيقا بعيدا .

حامية الاسكندرية

قبل مذبحة الاسكندرية التى حدثت يوم ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ كانت حاميتها مؤلفة من ٥ جى بيادة و ٦ جى بيادة وهما الآلايان اللذان يتألف منهما اللواء الثالث بقيادة اللواء خورشيد باشا طاهر . ومن ١ جى طوبجية سواحل بقيادة أمير الآلاى اسماعيل بك صبرى . وكان هؤلاء جميعا تحت أمرة الفريق اسماعيل باشا كامل .

وبعد تلك المذبحة عندما قدم الى الاسكندرية يعقوب باشا سامى وكيل نظارة الجهادية وكان عضوا فى المجلس الذى تألف لتحقيق هذه الحادثة وتوطيد النظام بكيفية شافية وافية فى هذه المدينة خصوصا بعدما جاءت الى مينائها الأساطيل الفرنسية والانكليزية وغيرهما ورابطت فيها ،كتب سامى باشا الى نظارة الجهادية لتعزز هذه الحامية وترسل لواء مؤلفا من آلايين من المشاة . فلبت النظارة طلبه

وأرسلت الى الاسكندرية ٢ جى بيادة و ٤ جى بيادة بقيادة اللواء طلبة باشا عصمت . ولما رأى الفريق اسماعيل باشا كامل طلبة باشا عصمت على رأس هذا اللواء وكان على علم بأنه لا يخضع له ولا يرضى بأن يكون له عليه أى سيطرة وإن كان أرقى منه رتبة لأن طلبة باشا من صنائع عرابى ، أخذ اجازة مرضية اتقاء لهذه المحاذير وتخلص من القيادة التى انتقلت من يده ابتداء من ذلك اليوم وأصبحت فى يد اللواء طلبة باشا عصمت .

وإليك بيانا بوحدات حامية الاسكندرية يوم ضرب حصونها :—

٢ جى بيادة

القائد — أميرالآلاى خليل بك كامل .

وكيل القائد — القائمقام احمد بك عفت .

بكباشى الاورطة الأولى — محمد افندى عارف .

« « الثانية — محمد افندى فوده .

« « الثالثة — محروس افندى شلش

١٨٦٣ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٤ جى بيادة

القائد — أميرالآلاى عيد بك محمد .

وكيل القائد — القائمقام فوده بك حسن .

بكباشى الأورطة الأولى — احمد افندى عبد الرحمن .

١٨٦٣ ماقبله

بكباشى الأورطة الثانية — رزق افندى حجازى .

« « الثالثة — حسن افندى عاصم .

١٨٨٥ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٥ جى بيادة

القائد — أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم .

وكيل القائد — القائمقام فرج بك عبد العال .

بكباشى الأورطة الأولى — يوسف افندى السيد .

« « الثانية — عبد الرحمن افندى سليم .

« « الثالثة — سليمان افندى تعيلب .

١٨٢٤ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٦ جى بيادة

القائد — أمير الألاى سليمان بك سامى .

وكيل القائد — القائمقام على بك عيسى .

بكباشى الأورطة الأولى — على افندى رمزى .

« « الثانية — فرج افندى يوسف .

« « الثالثة — احمد افندى راغب .

١٨٩١ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٧٤٦٣ مجموع البيادة ضباط وصف ضباط وجنود .

٧٤٦٣ ماقبله

١ جى طوبجية سواحل

القائد — أميرالآلاى اسماعيل بك صبرى .

وكيل القائد — القائمقام محمد بك نسيم . والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم

بكباشى الأورطة الأولى — عبد العال افندى ابو العلا .

« « الثانية — سيف النصر افندى . والد حضرة صاحب العزة حمدى بك سيف النصر .

« « الثالثة — محمد افندى شرمى .

١٧٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود.

أورطتان من ١ جى سوارى

القائد — البكباشى محمد افندى منيب .

٢٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٩٤٨٧ المجموع الكلى

* * *

استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب

لقد فشلت كل الجهود التى بذلت ابتغاء ايجاد طريقة للسلم واجتناب الحرب بسبب عناد الأميرال سيمور وتصلبه . ولم يبق إلا تفويض الأمر للحديد والنار .

وفى ليلة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ أرسل عرابى باشا

أمراء الألايات عيد بك محمد ومصطفى بك عبد الرحيم وسليمان بك سامى قواد ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى بيادة فى طلب أمير الألاى اسماعيل بك صبرى قائد ١ جى طوبجية سواحل وقومندان حصون الاسكندرية . وكان عرابى باشا وقتئذ بالترسانة ومعه محمود باشا فهمى وطلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية . فلما جاء أخبره أن الأسطول الانكليزى سيضرب حصون الاسكندرية صبح يوم الغد . واستطرد فى الكلام فقال : وان كان المجلس الذى انعقد فى سراى رأس التين برياسة الخديو قرر عدم مجاوبة الأسطول إلا بعد الطلقة الخامسة فمن اللازم أن يصدر أمرا بأن المجاوبة لا تكون إلا بعد الطلقة العاشرة .

وبعد أن تلقى اسماعيل بك صبرى هذه الأوامر انصرف هو ووكيله القائمقام محمد بك نسيم ليقابل بكباشية الألاى ويبلغهم الأوامر التى تلقاها وبعد أن أتم مهمة التبليغ ذهب كل واحد من هؤلاء إلى مركز عمله . فذهب البكباشى عبد العال افندى ابو العلا إلى قلعة قايتباى والبكباشى سيف النصر افندى الى حصن الفنار . والبكباشى محمد افندى شرمى إلى حصن المكس . أما أمير الألاى اسماعيل بك صبرى فقد أخذ تحت قيادته المباشرة حصون المنطقة الثانية وأقام مركز قيادته فى حصن الأطة وأرسل وكيله القائمقام محمد بك نسيم لقيادة حصون المنطقة الثالثة وقد جعل مركز قيادته بحصن المكس .

وأصــــدر أحمد باشا عرابى الأوامر الآتية للمشاة :—

يجب على ٥ جى بيادة بقيــــادة أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثانية أى من قلعة قايتباى الى حصن الفنار مع ٤ جى بيادة بقيادة أمير الألاى عيد بك محمد . وعلى الألاى الأخـــير أن يقيم بباب شرقى بصفة احتياطى .

ويجب على ٦ جى بيادة بقيادة أمـير الألاى سلـيمان بك سامى أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثالثة أى من حصن طابيـة صالح إلى حصن العجمى ومعـه ٢ جى بيـــادة بقيادة أميرالألاى خليـل بك كامل . وعلى هذا الألاى الأخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى .

وعلى الأورطتين من ١ جى سوارى أن تقـــوما بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز .

هـــذه هى الترتيبات التى وضعتها القيادة المصرية .

أما الانكليز فقـــد وجه الأميرال سيمـــور بتاريخ ١٠ يوليه الى قواد وضباط بوارج صاحبة الجـــلالة الملوكية باسكندرية أوامره باتباع الترتيبات التى جاءت فى هـــذا المنشور :—

من البارجة انفنسيبل فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

إنه فى حالة ما اذا لم اتلق جـــوابا مرضيا على الانذار الذى أرسلته إلى قائد الاسكندرية الحـــربى اطلب منه فيه أن يسلمنى مؤقتا الحصون القائمة على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثالثة ، من

حصن صالح الى حصن العجمى) وحصون رأس التين ـ اذا لم أتلق جوابا مرضيا ـ يغير الأسطول بقيادتى على الحصون عقب ما تنتهى الأربع والعشرون ساعة وهى مدة المهلة التى أمهلت بها المحايدين ليبارحوا فى خلالها المدينة . وهذه المدة تنقضى فى الساعة الخامسة صباحا من يوم ١١ يوليه .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :—

١ — الناحية الأولى داخل الميناء ، وتشترك فيه انفنسيبل ، ومونارك ، وپنلوپ .

٢ — الناحية الثانية خارج حاجز الأمواج ، وتشترك فيه سوپرب ، وتمرير ، والكسندرا ، وانفلكسيبل .

ويبتدىء القتال عند صدور الاشارة منى . وفى هذه الحالة على السفينة الأكثر دنوا من ساتر التراب الذى أقيم أخيرا فى طابية الاسبتالية التى بجوار حصن الأطة ، أن تصوب قذيفة الى هذا الساتر .

وعندما تجاوب الحصون الأسطول الخارجى باطلاق النار يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على شبه جزيرة رأس التين خصوصا حصن الفنار المطل على الميناء . ومتى تم ذلك تتجه سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا الى الشرق لتهاجم حصن فاروس (قايتباى) . وتهاجم حصن السلسلة اذا كانت مهاجمته فى الامكان .

وتتجه انفلكسيبل فى عصر هذا النهار نحو الموقع الذى بقرب البوغاز الصغير والذى عين لها أمس وتستعد لضرب مدافع خط المكس ومساعدة الأسطول الداخلى عند ما تعطى الاشارة بالضرب.

وتأخذ تمرير، وسلطان، والكسندرا فى ضرب حصون رأس التين من الجانب .

وتظل السفن الصغيرة فى الخارج بعيدة عن منطقة القتال إلى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على المكس .

ويجب على السفن أن تراعى فى تنفيذ هذه التعليمات كلها دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمعنى أنها تراعى الحالة التى يجب عليها أن تقاتل وهى فيها . فأما أن تقاتل وهى راسية فى مراسيها أو تقاتل وهى متحركة .

وإذا كانت الحالة تدعو الى قتالها وهى ملقية مراسيها وجب حينئذ أن يزاد حبل من الفولاذ .

وعلى الجنود أن يتناولوا فطورهم فى منتصف الساعة الخامسة صباحاً وأن يرتدوا ملابس العمل الزرقاء .

وسيكون الأسطول الداخلى تحت قيادتى الشخصية ، والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان .

وتقوم السفينتان هلكن وكندور بوظيفة سفن الاعادة .

وبالجملة ينحصر الغرض من الهجوم فى تخريب الحصون وتدمير البطاريات المنصوبة على واجهة بحر الاسكندرية .

ومن المحتمل أن هـــذا العمل لايمكن إتمامه في أقـــل من يومين أو ثلاثة · فيجب استعمال المقـــذوفات مع الحـرص . وعلى كل حال من المرتقب قـــدوم الباخرة همبر Humber الى هنـــا فى ١٢ يوليـــه وعليهـــا مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البـــارجة اتشلز Achilles فى الوقت الـــلازم يجب عليهـــا مهـاجمة حصن فاروس (قايتبـــاى) والوقـوف فى الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذه .

وتقف الكسندرا على بعـــد ١٥٠٠ ياردة تجـــاه حصن رأس التين .

وتقف سلطان على بعد ١٧٥٠ ياردة تجـــاه منتصف المســـافة بين حصنى الفنـار ورأس التين .

وتقف سوپرب على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن الفنار .

وتقف انفلكسيبل على بعـــد ٣٧٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المـــكس .

وتقف تمـرير على بعـــد ٣٥٠٠ ياردة فى الشمال الغـــربى من المـــكس .

وتقف پنلوپ ، وانفنسيبل ، ومونارك على بعـــد يتراوح بين

١٠٠٠ و ١٣٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس ؟

الامضاء

بوشامب سيمور
أميرال وقومندان القيادة

ويؤخذ من ترتيب هذه البوارج عدا البارجتين انفلكسيبل وتمرير ووضعها فى هذه المواقف أن الأميرال أراد أن تكون المسافة التى يرمى منها هذا الأسطول مقذوفاته وخصوصاً الأسطول الداخلى ، قصيرة قريبة من الحصون على الرغم من بعد مرمى مدافع سفنه الضخمة . ومن هذا نستنتج عدة نتائج :ـ

١ ـ أن المخاوف التى كان يخشى منها الأميرال على أسطوله من جراء وضع مدافع فى الحصون قبل الضرب ، كانت مخاوف مختلقة أراد بها تبرير عمله .

٢ ـ أن هذا الأميرال لم يكن يخشى ضرراً كبيراً من المدفعية المصرية التى فى هذه الطوابى . ولذلك دنا منها هذا الدنو الكبير الذى لم يجرئه عليه إلا اعتقاده الجازم بقصر مرمى هذه المدفعية وضعف تأثير مقذوفاتها .

٣ ـ أنه كان على علم تام بأن هذه الحصون كلها عدا قلعة قايتباى كانت مدافعها منصوبة فى العراء وبلا وقاية تقى جنودها . والدليل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافعه الصغيرة خصوصاً المنصوبة منها فى الطبقات العليا من سفن هذا

الأسطول ، وذلك لكى يفتك بجنود هذه المدافع فيسكتها بقتل جنودها وبدون أن يحتاج فى اسكاتها إلى ضربها واتلافها وهذا ماحدث فعلا فى كل هذه الحصون عدا قلعة قايتباى .

البدء بالضرب

فى صباح يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ فى الساعة السابعة صباحاً أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب غير مبال أية مبالاة بحقوق الشعوب الأمر الذى يكسو الحكومة التى وافقت على سفك دماء الأبرياء ثياب العار ، ويسجل فى تاريخها صحائف سوداء لايمحوها مرور الأزمان ولا كرور الأعوام .

وقد كان الجو وقت الضرب صحوا والبحر رهوا إلا أن النسيم الذى يهب فى هذا الفصل على الاسكندرية من الشمال الغربى كان يطرد دخان مدافع الأسطول إلى الشاطىء فينشر الظلام على الحصون ويحول فى فترات واسعة دون رؤية الأهداف التى يجب أن تسدد إليها السفن مقذوفاتها . ولولم تظهر أمام الأسطول هذه العقبة لكان موقفه من أحسن المواقف .

وعملا بأوامر الأميرال أرسلت الكسندرا التى كانت أقرب السفن من حصن الاسبتالية ، أول قذيفة إلى هذا الحصن . واقتدت بها بقية السفن فأطلقت مدافعها ولكن بعض الحصون

لم تجاوبها إلا بعد الطلقة العاشرة والبعض الآخر بعد الخامسة عشرة . ثم عمت المعركة الجانبين .

حركات الاسطول الخـــارجى

سـارت سفن هذا الاسطول فى بدء المعركة على الخطة الحربية التى رسمت لهـــا فصوبت مقذوفاتها أولا على حصون الفنـــار ، ورأس التين ، والاسبتالية . ولم تعر مؤقتـــا التفاتها إلى الحصون الأخـــرى . وقاتلت ثلاث منهن متنقـلة وهى سلطان ، وسوبرب ، والكسندرا . أما البارجة انفنسيبل فكانت ملقية مراسيها فى الممر الصغير لتعاون الأسطول الداخـلى مصوبة مدفعـين من مدافعهـا منصوبين فى برجها الأمامى وزن الواحد ٨٠ طنا لضرب الحصون السالف ذكرها ومدفعين فى برجهـــا الخلفى لضرب حصن المكس .

وأما البارجة تمرير خامسة بوارج هذا الاسطول فقد نشبت فى مكانها (شحطت) أثناء المنـاورة التى كانت تقـوم بها لتتخذ الوضـع الذى رسم لها خارج البوغاز ، ولكنها واصلت الضرب وهى فى المكان الذى نشبت فيـــه وجاءت السفينة كندور لانقـــاذها فعومتها بدون أن ينالها أى ضرر .

وقد كانت هذه البوارج الثلاث تقاتل وتـكافح من بدء القتـال فى الساعة السابعة إلى منتصف الساعة الحـــادية عشرة وهى متنقـــلة وعلى بعد ١٥٠٠ ياردة حسب تعليمات الأميرال وقاومتها الحصون

مقاومة فاقت ما كان يظنه الانكليز وأبدى جنـود مدفعيتها فى اطلاق هذه المدافع مهـارة لم يكونوا يتوقعونها منهم فألقت هـذه البوارج مراسيها عند منتصف الساعة الحادية عشرة لأنها رأت ضربها غير محكم وهى متنقـلة . وبذلك حصلت عل المسافة المضبـوطة التى تفصلها من الحصون وأخذ ضربها لها ابتداء من هذا الوقت يزداد أثره .

وبانضمام البـارجتين انفلكسيبل وتمرير إلى هـذه البوارج الثلاث أمكنها اسـكات حصون رأس التين والفنـار والاسبتالية فى منتصف الساعة الواحدة بعـد الظهر . غير أن مدفعا واحـدا من مدافع حصن الاسبتـالية لم يسكت ولم ينقطع عن الضرب إلا فى الساعة الخامسة مساء . وقد أصـابت قنابل هـذه البوارج سراى الحـريم بقصر رأس التين فالتهمتها النيران فى الساعة العاشرة مساء .

قال القومنـدان جودريتش إن جنود المدفعيـة المصرية جاوبوا نيران الاسطول الانكليزى الجهنمية بمجـاوبة مدهشة لم تكن منتظرة بتاتا وأظهروا بسالة عجيبـة رغم التفـاوت الجسيم الذى بينهم وبين الانكليز من ناحيتى عدد المدافع وعيارها .

ولقد كانت البارجة انفلكسيبل عندما تطلق مقـذوفاتها التى تزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وتصطدم بسـاتره تثير النقع والغبـار والشظايا إلى ارتفاع الفنـار نفسه . ويتخيـل المرء

عنـدما يرى ذلك أن ليس فى استطـاعة أحد من البشر أن يعيش تحت هذه النيران ولـكن عندما ينقشع العثير بعـــد بضع دقائق يرى جنود المدفعية المصرية فى مواقفهم يطلقون القنابل على خصمهم الرهيب . اه

وعقب منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أسكتت مدافع المدرعات الثلاث سلطـــان ، وسوپرب ، والكسندرا مدافع الحصون الثلاثة المذكورة ، اتجهت نحو حصن الأطة ، ويظهر أنها كانت تعتقـد أن قوتها لاتـكفى للتغلب عليه ، ولذلك طلبت من المدرعتين انفلـكسيبل وتمرير أن تأتيا لمشاركتها فى ضربه . فصوبت هــذه المدرعات الخمس نيرانها دفعة واحدة إلى هـذا الحصن المنكود الذى دافع عن نفسه دفاعا عجيبـــا أمام غارة البوارج الخمس التى هي أقوى سفن الأسطول الانجليزى . وسلك قائد هــذا الحصن الذى لم أوفق لسوء الحـــظ إلى معرفة اسمه فى قيـادته ســـلوكا باهرا غاية فى البسالة والاقدام . وقد شهـد له بذلك شاهد العيان الـكابتن وولتر جودســـول Walter Goodsall قومندان الباخـرة تشلترن Chiltern إحدى سفن شركة التلغراف الشرقية ، الاسترن تلجراف Eastern Télégraphe Cie الذى كان حاضرا هذه الواقعة فى ذلك اليوم . وهـذا ماقاله :ـ

لقد عجبت من هذه البطولة التى لايمكننى أن أدرك كنه كيفيتها والتى كانت تتحلى بها الجنود الذين يطلقون مدافع حصن الأطة ، كما عجبت أشد العجب من الموقف الذى وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية علمه وهو بمفرده والمنظار فى يده ينظر منه الأثر الذى أحدثـــه المقذوفات

التى كانت تنطلق .

لقـــد كان حقاً رجلا شجاعاً مزدرياً عـــدد المقذوفات التى كانت تلقى على حصنه ذلك الحصن الذى كان يجاوب هذه المقـــذوفات باطلاق مقـذوفاته كلمـــا مـرت عشر دقائق . ثم رفعت البـــارجة انفلكسيبل مرساتهـــا وشرعت تصـوب قنـابل مدافعهـــا الضخمـة الى هـذا الحصن . ويظهر أنهـــا دكت أسسـه ودمرته تدميراً . وفى منتصف السـاعة الثانيـــة بعـد الظهر سـددت قنبـــلة الى مسـتودع باروده ولابد أنهـــا أصابتـه ودخلت فيـــه لأنه انفـجر فى منتصف الساعة الثالثة ونسف ، ولا بد أيضا أنه قتل جنـــود كثيرون فى هذا الحصن لأن عددا كبيرا منهم طار فى الفضـاء والضابط الذى كان واقفا فيه وقفة الأسد فى عرينه طار فى الهواء هـو وسارية علمه . اهـ

* * *

هـذه كانت خاتمة ذلك البطل الصنديد وجنوده البواسل وبعـد هذا الانفجار أخلت الحامية حصن الاطة ورحلت عنه .

وقد اتجهت المـــدرعات الخمس على أثر تدميرها حصن الأطة نحو قلعـة فاروس (قايتباى) وظلت تصليه بنيرانها الى السـاعة الخامسة مساء أى الوقت الذى أعطى فيه الأميرال الاشـــارة بايقاف الضرب.

وقد أصيبت هـذه القلعـــة بأتلاف جسيمة ولـكنها مع ذلك لم تسكت عن اطـلاق مدافعها سكوتا تاما واستمرت ترمى مقـذوفاتها الى أن صدر الأمر بالـكف عن اطلاق النيران .

حركات الأسطول الداخلى

كانت المدرعات الثلاث التى يتألف منها هـــذا الأسطول وهى أنفنسيبل ، وپنلوپ ، ومونارك بقيادة الأميرال سيـــمور مباشرة : وكان علم هذا الأميرال معقودا على أولاها وكان موقفها حسب تعليمات القتال شمال غربى المكس . وقد ألقت هى والثـــانية مراسيهما على بعد يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ ياردة بينما الثالثة كانت تتنقل فى منطقة على بعد هذه المســـافة عينها . وكانت مهمة هـــذه البوارج الثلاث مقاتلة حصون أم قبية ، والمكس ، والدخيلة ويعاونها فى ذلك البارجة انفلكسيبل التى كانت ملقية مراسيها خارج الممر الصغير وتقـــذف النيران منذ ضحوة النهار من مدفعيها المنصوبين فى برج مؤخرتها واللذين يزن كل منهما ٨٠ طنا وكذلك كانت تعاونها البارجة تمرير التى كانت ناشبة (شاحطة) خارج ممر البوغاز . وكانت كلتـــا هاتين السفينتين تقاتل الحصون على مسافة قدرها ٣٥٠٠ ياردة تقريبا . وقد أصيب فى الساعة التاسعة صباحا مستودع البـــارود الذى كان خلف حصن الدخيـــلة بقذيفة من قذائف السفينة مونارك فتطاير فى الفضاء .

وعلى أثر ذلك أشار الاميرال إلى هذه السفينة بالاقتراب من الشاطىء بقدر ما يسمح لها غاطسها لتسحق جنود المدفعيـة أو تطردهم من حول مدافعهم فأطاعت .

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة كفت هذه الحصـــون عن

الضرب فــكفت السفن أيضا عن ارسال مقذوفاتها . ولكن قبيل الظهر أبصرت السفينة مونارك جنودا انسلوا الى مــدافع الحصون فأمرها الأميرال هى وبنلوب أن ترسلا عليهم مقــذوفاتها فأطاعتا وانتهى الأمر بطرد هؤلاء الجنــود من مواقفهم .

قال الماجور تُلك Tulloch أحــد رجال قلم المخــابرات وكان على ظهــر السفينة انفنسيبل أمام حصن المكس ، فى كــتابه (ذكــريات أربعــين عــاما فى الخــدمة ص ٢٧٧) Recollections of Forty Years Service . عن جنــود مدفعية حصن المكس ما نصه :-

لقد كان حقا من العجب العجاب أن أرى هؤلاء الجنود رغم شدة الضرب واقفين فى أماكنهم ملازمين لمــدافعهم . وقد رأيت أكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل فى إحدى كوات مــدافعهم فقلت فى نفسى لقد قضى على هذا المــدفع وأمسى فى حيز العدم . ولكن لم ألبث بعد ذلك حتى قلت : كلا ثم كلا !! فقد كان الجواب من هذا المدفع يعود فى الوقت اللازم وقد أتى مرة من المرات بسرعة فائقة جدا حتى لم أتمالك نفسى ووثبت الى حافة السفينة ورفعت يدى صائحا : لقد أجدت العمل أيها الجندى المصرى !. اهـ

ثم رأت السفينة كندور أن حصن المرابط يطلق مدافعه على السفن الكبيرة ببعض الاحكام . فاقتربت منه وهاجمته لتحــول دون

ضربه لها . ولما شاهد الأميرال فعل هذا الحصن أمر السفن الأربع الصغيرة أن تعاون كندور فى هذا العمل ففعلت واسكتت الحصن .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر رأى الأميرال هذه الحصون قد أخلتها الجنود فأرسل إلى البر عشرين جنديا ليسمروا أو ينسفوا مدافع حصن المكس بالديناميت ففعلوا ورجعوا دون أن يصابوا بأذى . وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجنود البيادة الذين كانوا فى حراسة هذه المنطقة لم يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأهملوه اهمالا يستحقون عليه المؤاخذة .

وفى منتصف الساعة الرابعة (الساعة ٣½) أخبرت المدرعة پنلوپ الأميرال بأن مدافع حصن القمرية تتأهب مرة ثانية للضرب وأخبرته أيضا المدرعة مونارك بعودة الجنود إلى حصن المكس .

فأمرهما بأن تسددا مقذوفاتهما إلى هذين الحصنين فصدعتا بالأمر وأخذتا تضربهما حتى منتصف الساعة السادسة مساء حيث أمر الأميرال بالكف عن الضرب فى هذا الوقت . وهكذا انقضى ذلك اليوم المشئوم .

وقد بلغت خسائر الانكليز فى هذا اليوم ٦ من القتلى و ٢٧ من الجرحى ، وسيأتى فى تقرير الأميرال أن القتلى ٥ والجرحى ٢٨ فلعل أحد الجرحى أدركته الوفاة ، أما قتلى المصريين وجرحاهم فيتعذر علينا معرفة عددهم بالضبط . وقد قدرهم استون باشا رئيس أركان الحرب العام بالجيش المصرى بنحو ٧٠٠ جندى .

والذخيرة التى استهلكها هذا الأسطول كان مقـــدارها جسيما حتى أن المدرعات الكبيرة كانت فى آخر النهـــار قد استنفدت ذخيرتها ولولا وصـول النقـالة همبر Humber فى غـــد ذلك اليوم مشحونة بالذخــيرة لتعذر على معظم سفن الاسطول الاستمـرار فى الضرب .

وهاك مااستهلكه الأسطول من أنواع الذخائر :ـــ

٢١٩٨	من قـــذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من مظاريف مـــدافع السربند (متريلوز جاتلنج)
١٦٢٣٣	» » » نوردنفلت
١٠١٦٠	» » بنـــادق مارتينى هنرى
٣٧	» الصـــواريخ (السواريخ)
١٣١٨٥٦ رطلا	» البارود

أما مقدار مانفد من ذخيرة المصريين فقد تعذرت معرفته أيضا .

ونورد هنا بعض الأخبـــار التى كانت تذيعها جريدة الطائف لصاحبها عبد الله نديم عن ضرب الاسكندرية على سبيل المثال للأخبار التى كانت تنشر على المصريين عن هذه الحرب ، وهى :ـــ

يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩هـ (١١ يوليه سنة ١٨٨٢م) فى الساعة ١٢ عربية (الساعة ٧ افرنجية) صبـــاحا اطلق الانكليز النار على حصون الاسكندرية فرددنا عليهم .

وفى الساعة ٢ عربية (الساعة ٩ افرنجية صباحا) غرقت مدرعة أمام حصن الأطة .

وفى الساعة ٦ عربيـــة (الظهر) غرقت سفينتان بين قلعـــة قايتباى وحصن العجمي .

وفى الساعة ٧½ عربية (الساعة ٢½ افرنجية مساء) غرقت سفينة حربية من الخشب عليها ثمانية مدافع .

وفى الساعة ١٠ عربية (الساعة ٥ افرنجية مساء) أصيبت المدرعة الكبيرة بقذيفة من قلعة قايتبـاى أتلفت بطارياتها فرفعت العلم الأبيض إشارة إلى الكف عن اطلاق المدافع عليها . فامتنع الضرب من الجانبين بعد أن استمر عشر ساعات متوالية . وتخربت بعض جدران الحصون ولكنها أصلحت ليلا . والطلقات والقنابل التى اطلقت من الجانبين بلغت نحو ستة آلاف وهـــذه أول مرة أطلق فيها عدد كبير من المقذوفات مثل هذا فى وقت قصير كهذا .

وما من جندى فى العـــالم كان يستطيع أن يقف بثبـــات فى مركزه رابط الجأش أمام نار محتـــدمة كما وقف المصريون أمام نيران ٢٨ سفينة حربية مدة عشر ساعات .

* * *

هذه أمثلة من الأخبـــار التى كانت تذيعها هذه الجـــريدة . وهى كلها مفتراة ويالأسف ، وليس فيها مثقال ذرة من الصحـــة اللهم إلا الفقرة الأخيرة .

التلف الذى حـــل بالحصون

١ — حصن السلسلة ـ قذف هـــذا الحصن المدرعـــة تمرير بيضع قذائف محكمة بينما كانت تهاجم قلعة قايتبـاى ولم تجاوبه المدرعة المذكورة . فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال ولم يمس بسوء .

٢ — قلعة قايتباى ـ أصيبت واجهتها الشمالية الغربية إصـــابات شديدة من مقذوفات الاسطول . وتخربت حيطان ملاذها (كهفها) فى عدة مواضع . ودخلت بعض قذائف الاسطول من كوانيهـا المعدة لاطلاق المدافع . وانفجرت فى داخل هذه القلعة فأوقعت أربعة من مدافعها . وأتلفت ثلاثة مدافع أخـــرى بالأنقاض التى ســـدت كوات هذه المدافع ووقفت حركة مدفع عيار ١٠ بوصـــات من مدافع بطارية الطبقة العليا من هذه القلعة بسبب انهيـار أنقاض القصر العتيق الذى كان هذا المدفع مستندا إليه . وقلبت إحدى قنـــابل الأسطول مدفعا آخر عيار ٢٥ سنتيمترا من مدافع الطراز القديم .

أما الواجهة الغربية من هذه القلعة فقـــد دمرت عن آخرها وفتحت فيها ثغرة كبيرة كشفت المدافع وجعلتهـا فى العراء . فأصيب اثنان من هذه المدافع وأصبحا لايصلحان للعمل .

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتـــال ، ولكن رغم ذلك سقط مدفعان من مدافع الواجهة الجنوبية بضربة جنبية .

٣ — حصن الأطة ـ لم تشترك واجهتـــه الشمالية الشرقية

فى القتال ولم تصب بضرر .

وقد أصيب أحد المتاريس المشرفة على واجهته الشمالية الغربية بنحو عشرين قذيفة ، منها اثنتا عشرة دخلت دخــولا عميقا ولكنها لم تنفجر . والأخريات انفجرت انفجارا هائلا فأحدثت تلفا كبيرا . وأصيب فيه مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة فانقلب . وأصيب متراس آخر بقذيفتين أصابت احداهما مدفعــا من المدافع القديمة عيار ٢٥ سنتيمترا . واقتلعت قنبلة مدفعا من بطاريته الوسطى . وبطلت حركة مدفع آخر بسبب انهيار انقاض منحدره العلوى القائم عليه الساتر على أثر اصابته بقنبلة .

وأصيبت الواجهــة الجنوبية منه بقذيفــة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعة .

أما مســتودع باروده الذى انفجر وكان انفجــاره سبباً فى اخلاء هذا الحصن فقد كان مقاما فى موقــع غير صالح ولم يكن تقيــه أية وقاية .

٤ — حصن الاسبتــالية — أصيب هذا الحصن إصابات كثيرة فتخرب بنــاؤه فى نواح عديدة وخصوصاً الناحيــة الشمالية ولكنه مع ذلك بقى يطلق مدافعه التى شوهد على أحدها بعــد انقضــاء المعركة أكثر من تسعة وأربعين أثراً من آثار قذيفــات الشرانبــل (وهى نوع من القذائف محشو بالرصاص) . وكان بعض

هذه الآثار بل كثير منها يزيد عمقه عن سنتيمتر .

٥ — حصن رأس التين — أصيبت بطاريته الوسطى بقذائف كثيرة كان بينها سبع قذائف دخلت من كواته . وأصيب مدفع من مدافعه من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة حطمت محور عجلته فأمسى غير صالح للاستعمال . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج عيار ٩ بوصات فى قاعدته وصار أيضاً غير صالح للاستعمال لانهيار أنقاض كوته .

وأصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من كواته وأصابت احداها مدفعا من طراز أرمسترونج غير أنه بقى مع هذه الاصابة يوالى الضرب . وأصيب مدفع آخر من طراز ارمسترونج ايضاً بقذيفة انفجرت فى وسط عجلته فصيرته غير صالح للاستعمال . وتفكك مدفعان من البطاريات الوسطى أحدهما حدث تفككه من رجوعه الى الخلف ، والآخر على أثر اصابته بقذيفة .

٦ — حصن الفنار — أصيبت الواجهة الغربية منه بعطب شديد من نيران الأسطول الخارجى . فقد انصدمت هذه الواجهة بقذيفتين أحدثتا فيها ثغرة عرضها ٤٫٥٠ من الأمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار . وحفرت أربع قذائف ثقوباً قطر استدارتها نحو ٢٫٥٠ من الأمتار . وصدمت أربع قذائف أخرى الكوات (المزاغل) . وأصابت قذيفة اطلقت فى اتجاه منخفض، قمة الساتر فأطارتها على

طول ٣٫٦٠ من الأمتار . واحدثت أربع عشرة قذيفة أضراراً غير خطيرة . وانقلع مدفع على أثر تراجعه . وأصيب مدفعان من القذائف بعطب شديد وأمسيا غير صالحين للاستعمال فقد انفجرت قنبلة تحت أحدهما فقلبته ، وحطمت أخرى أوتاد المدفع الثانى وقلبته أيضاً . وكف مدفع آخر عن الضرب على أثر تخريب كوته . وأصيب مدفع من طراز أرمسترونج بضربة عكسية صيرته غير صالح للاستعمال .

٧ — حصن صالح أغا — هاجمت هذا الحصن الواقع فى الداخل المدرعتان مونارك وپنلوپ فترة يسيرة فى آخر النهار وأصيبت ستائره بأضرار طفيفة وتفكك مدفع قديم من مدافعه .

٨ — حصن أم قبيبة — قامت بمهاجمته المدرعة انفلكسيبل وهى على بعد ٣٥٠٠ متر منه وقد عادت عليها مهاجمتها له بالفائدة إذ أصابته بثلاث عشرة قذيفة ألحقت به أضرارا جسيمة - صدمت اثنتان منها منحدر جدار الخندق الخارجى فألقت فيه كتلة من الأنقاض تمكن الانسان من النزول فيه بسهولة . وصدمت اثنتان أخريان جدران الخندق من ناحية الحصن وفتحت كلتاهما ثقبا يمكن الدخول منه . واثنتان حفرتا عند انفجارهما الذى كان على عمق كبير فى أرض الساتر ثقوبا قطرها ٥ أمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار . وصدمت اثنتان الساتر بالقرب من الكوات من جانب السطح وصيرت احداهما أحد المدافع غير صالح للاستعمال . وألحقت الخمس القذائف

الأخرى بالحصن خسائر أقل جسامة كان من بينها أيضا حفرتان يتراوح قطر الواحدة منها بين ٢ و ٣ أمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار ، كما أن الأحجار والأتربة التى نثرتها القذائف غطت المدافع وقصمت قنبلة مدفعا عيار ١٦ سنتيمترا نصفين . ومدفع آخر سقط عند تراجعه .

ووجد فى فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات لم ينفجر .

٩ — حصن المكس . تفكك مدفع من مدافعه المنصوبة حول برجه على أثر اصابته بقذيفة ، وسقط مدفع آخر عند تقهقره . وأصيبت بطاريته الوسطى المؤلفة من مدفعين ضخمين من طراز ارمسترونج بنحو اثنتى عشرة قذيفة . وأهم الخسائر التى أحدثتها هذه القذائف ثلاث حفائر قطر كل منها نحو ٣ أمتار . وأصيبت بطاريتاه الأخريان ببعض المقذوفات . أما مبانيه القائمة فى الخلف فهى التى لحقها التلف أكثر من غيرها من جراء ضرب السفن .

وكان داخل هذا الحصن بعد المعمعة مفعما بالأحجار . وإنه ليتعذر على المرء أن يدرك لِمَ لم يسقط مدفع ما من مدافعه فى غضون المعركة رغم قصر المسافة التى كانت بينه وبين البوارج الحربية ورغم نيرانها الفتاكة التى أصلته بها . غير أن المدرعة بنلوب أسقطت بعد ذلك مدفعا واحدا فقط لم تتمكن من اصابته إلا فى الطلقة الثالثة عشرة .

وأصيبت مدافعه الأخرى بشظايا المقذوفات فلم تلحق بها إلا أضرارا تافهة . وبعد جلاء جنوده عنه نزلت شرذمة من الجنود الانكليز إلى البر ومعها أدوات النسف (طربيد) ونسفت مدفعيه الضخمين وسمرت مدافعه الأخرى .

١٠ — قلعة المكس — أطلقت على حيطانه مقذوفات كثيرة العدد وقد تركت بها آثاراً وانفجرت احداها بالقرب من مؤخرة مدفع أرمسترونج وأصابت جنود المدفعية ولكن لم يحدث ضرر كبير للمدافع ولا للتحصينات .

١١ — حصن الدخيلة — لم ينله ضرر ما غير أن مدفعين من مدافعه انقلبا عند تقهقرهما . ومستودع البارود الذى كان خلفه أصيب بقذيفة ونسف كما ذكرنا ذلك آنفا

١٢ — حصن المرابط — كانت مهمة ركنه الذى فى الشمال الشرقى أن يقاوم السفينة كندور وسفن المدفعية . وقد أصيب منحدره بنحو عشرين قذيفة تركت فيه آثارها غير أن الاضرار التى حدثت كانت طفيفة . وأصاب واجهته الشمالية الشرقية بعض مقذوفات من السفن التى كانت فى الخليج الداخلى كانت أكثرها من مقذوفات المدرعة مونارك ولكن المدافع التى بهذه الواجهة لم ينلها ضرر . واشتعلت النار فى بناية صغيرة بالقرب من مستودع كبير يجاوز ارتفاعه ارتفاع ساتر هذا الحصن به مقدار كبير من الذخيرة ولكن النار لم تمتد اليه . ووجد بفناء هذا الحصن عدد كبير من

المقذوفات لم ينفجر .

١٣ — حصن العجمى — هذا الحصن لم يشترك فى القتال .

خســـائر الأسطول

١ — المدرعة سلطان — أصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت إصابات مدخنتها وسارياتها شديدة وأصابت بعض هذه القذائف زرخها (درعها) فى موضعين وقد أحدثت واحدة منهـــا فى أسفل قنطرة بطاريتهـــا شرخا يبلغ ٤٥ سنتيمترا . واخترقت قذيفتـــان أو ثلاث جـــدرانها غـــير المدرعة وكان عدد قتـــلاها اثنين وجرحاها ثلاثة .

٢ — المدرعـــة سوبرب — فاقت خسائر هذه المدرعـــة خسائر اخوانها . فقد أصيبت فى جدرانها بعشر إصابات . واخترقت قذيفتان درعها . وفى أحد مواضع اصابتهـــا انتزعت القذيفـــة عند انفجارها جزءا من درعها . وكذلك أصيبت مدخنتها .

٣ — المدرعـــة انفنسيبل — أصيبت بثلاث عشرة قذيفـــة فى جدرانها وآلاتها . واخـــترقت ست منهن الجزء غـــير المدرع منها .

٤ — المدرعة الكسندرا — أصيبت بثلاثين إصابة فى جدرانها وآلاتها . وبأربع وعشرين إصـــابة اخترقت جدرانها فى أجـــزائها غير المدرعة فأحدثت بها اضرارا بالغة فى القنطرة الداخلية وفى غرفها

وغيرها . وأصابتها أيضا قذائف وقنابل كثيرة فى الجـزء المدرع منها ولـكنها على كثرتهـا لم تحدث فيه ضررا يذكر . وتلف مدفعان من مدافعها دون أن يصابا من جـراء كثرة استعمالهما فى الضرب . أحدهما عيار ١٠ بوصات أو ٢٥ سنتيمترا ووزن ١٢ طنا والآخـر عيار ١١ بوصة أو ٢٧½ سنتيمتر ووزن ٢٥ طنا . أما خسائر جنودهـا فقتيل واحد وجريحان .

٥ — المدرعـة پنلوپ — سقط أحد مدافعهـا وجـرح من جنودها اثنان .

٦ — المدرعة انفلكسيبل — أصيبت بقنبلة فى جزئها الغاطس (تحت خط الماء) من مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات وهو أكبر عيار فى مدافع الحصون المصرية . وكادت هذه الاصـابة تغرقها لولا اسعافهـا . وقد ذهبت بعد المعركة إلى مالطة لاصلاحها . ولم تذكر إصابتها هذه فى التقارير الرسمية التى قدمت للحكومة الانكليزية بل عمل عنهـا تقرير سرى للأميرالية ولم يذع . وكانت خسـائر جنودها قتيلا واحدا وجريحين .

* * *

تقارير الأميرال سيمور عن ضرب الحصون

وقد رفع الأميرال سيمور ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الاسكندرية فى ١٤ و ١٩ و ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ . وها هى : —

(١)

من ظهر البارجة انفنسيبل فى ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢

إلى سكرتير الأميرالية

سيدى

لى الشرف بأن التمس منكم أن تتفضـــلوا وتخبروا اللوردات منــــدوبى الأميرالية أننى لم أتمكن فى هذا الوقت مع الأسف من ارسال تقـــرير مفصل عن الهجوم على حصون الاسكندرية بسبب انشغـــالى بهذه المهمـــة الشاقة .

انه بسبب اخفاقى فى طلب الترضيـــة عن المسائل التى كنت كلفت بطلبها من حكـــومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات المنصوبة على واجهة الاسكندرية الشمالية والاستحكامات المقـــامة فى الشمال الغـــربى ونجحت فى اســـكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى اعطيت فيه الاشارة بالكف عن الضرب.

وفى صبـــاح يوم ١٢ ثانى يوم الضرب أمرت تمـــرير وانفلكسيبل بأن تهاجما حصن فاروس . وبعد اطـــلاق مدفعين أو ثلاثة رفع علم الهـــدنة على حصن رأس التين فأرسلت عنـــدئذ ضابط أركان الحرب الاونورابل هدورث لامبتن Hedworth Lambton وكلفته باستجـــلاء السبب . ويؤخـــذ من تقـــريره أن كل ما فى الأمر خديعة تافهة عملت لاكتســـاب الوقت بلا مراء . وبمـــا أن

المفاوضات قد فشلت لأن طلبي هو تسليم البطاريات الحاكمة على ممر البوغاز ـ أطلق مدفع على سطح بطاريات ثكنات (قشلاقات) المكس . وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى . فأرسلت ضابط أركان الحرب المذكور ومعه القومندان مورسن Morrison إلى الميناء على ظهر السفينة هلكن . ولما ذهب الى يخت الخديو (المحروسة) وجد أن طائفة هذا اليخت قد رحلت وعند ايابه بعد دخول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة أخليت من السكان .

وامس صباحا توغلت فى الميناء على ظهر البارجة انفنسيبل ومعي المدرعتان بنلوب ومونارك وأنزلت إلى البر فرقة لتضع يدها على رأس التين .

وأرانى متأسفا لاضطرارى أن أخبركم أن مدينة الاسكندرية أصيبت بأضرار بالغة من الحريق والنهب .

وفى الساعة الرابعة و٤٥ دقيقة بعد الظهر وصل سمو الخديو الى سراى رأس التين وخصصت لحمايته ولاحتلال شبه الجزيرة سبعمائة بحار .

وفى العشية نزلت فرقة من البحارة إلى البر ومعها مدفع من طراز جاتلنج Gatling فطهرت بعض الشوارع من العرب الذين كانوا يحرقون بيوتها وينهبونها .

ويجب علىّ أن أعرب عن اعجابى الزائد بالسلوك الذى سلكه الضباط ورجال الأسطول عند تأدية مختلف مهامهم وأن

أثنى عليهم الثناء الجم . وأخص منهم بالذكر الــكابتن ولتر هنت جرب ربان المــدرعة سلطان وهو أقدم الضباط وقائد الأسطول الخارجى

ولقد قاتل المصريون قتال الأبطــال بأقدام ثابتــة وكانوا يجاوبون النيران الشــديدة التى تصبها على حصونهم مدافعنــا الضخمة الى أن قتل عــدد كبير منهم .

وســأرسل عما قريب على قــدر الامكان تقريرا مفصلا وأصحبه بصور المراســلات .

وتجــدون صحبة هذا بيانا بعــدد القتلى والجرحى .

ولى الخ . . . ؟ بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القــواد

قائمة القتــلى والجرحى فى هذا القتــال

القتــلى

عدد	
١	انفلكسيبل
١	الكسندرا
١	سوپرب
٢	سلطان
٥	

الجــرحى

عدد	
٢	انفلكسيبل
٣	الكسندرا
١	سوپرب
٨	سلطان
٦	انفنسيبل
٨	پنلوپ
٢٨	

؟ بوشامب سيمور

(٢)

من ظهر السفينة هلكن فى ١٩ يوليه سنة ١٨٨٢

الى سكرتير الأميرالية

سيدى

لى الشرف أن ابعث لكم بالتفصيلات الآتية ليحيط اللوردات مندوبو الأميرالية بها علما .

انه عندما ورد لى تعريف (صورته طيه) من اللفتنانت سمث دورين Smith - Dorrien مضمونه أن مدفعين سينصبان عما قريب فى حصن السلسلة ، أرسلت بلاغا الى قائد الاسكندرية الحربى أعلنته فيه بأنى سأضرب الحصون عند شروق شمس يوم ١١ إن لم تسلم لى قبل هذا الوقت البطاريات المقامة على برزخ رأس التين وساحل الاسكندرية الجنوبى لأعطلها وبهذه الوسيلة أكون قد نفذت تعليمات اللوردات التى وردت الىّ فى ١٠ الجارى .

وفى الصباح المبكر من يوم ١١ شوهدت السفينة هلكن متجهة نحو المدرعة انفنسيبل التي كانت راسية فى ممر البوغاز ويخفق علمها علىّ . وفى منتصف الساعة السابعة صباحا أخبرت هلكن بالاشارات أن على ظهرها ضباطا من المصريين يرغبون الاتصال بى . وقد قدم هؤلاء الضباط إلى بارجتى وهم ياور درويش باشا واثنان من المصريين وسلمونى خطابا من سعادة راغب باشا رئيس مجلس

النظار وناظر الخارجية (صورته طيه) يقول فيه انه مستعد لانزال ثلاثة مدافع فأخبرتهم أنه من المستحيل قبول مثل هذا الاقتراح وأرسلت إلى سعادته الرد بهذا المعنى (صورته طيه) .

ولما تيقنت أن الضباط وصلوا إلى البر آمنين أمرت باطلاق النار على الحصون فأتى الرد حالا بشدة من خطوط المكس ومن البطاريات المنصوبة على الطوابى التى وراء الشعوب التى بجانبى البوغاز ، ومن رأس التين ، ومن حصنى الأطة وفاروس .

ولما ظفرت باسكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء أعطيت الاشارة بالكف عن اطلاق النار .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٢ بعد أن صوبت طلقتين أو ثلاثا على حصن فاروس رفع عليه علم الهدنة وعندئذ أرسلت ضابط أركان الحرب الاونورابل هدورث لامبتن الى الاسكندرية ليستطلع السبب فى رفع هذا العلم وزودته بتعليمات (صورتها طيه) فحواها أن يطلب بالنيابة عن تسليم البطاريات المطلة على ممر البوغاز . وتجدون طيه اجابته التى لاتدع شكا فى أن الغرض الوحيد من ذلك لم يكن إلا حيلة لاكتساب الوقت . وعلى أثر ذلك نزلت الراية .

وصوبت طلقة أخرى على المرتفعات القائمة عليها بطاريات ثكنات المكس فارتفع العلم مرة اخرى فأرسلت اللفتنانت هدورث لامبتن والقومندان مورسن من ضباط السفينة هلكن الى يخت

المحروسة الخاص بسمو الخديو فلم يعثرا على أحد فيه وأعطيا إشارة بأن المدينة أخليت . ولما رجعت هلكن كان الليل قد أرخى سدوله .

وعندما أشرقت شمس اليوم وأخذ الأسطول يتحرك دخلت الميناء فتبينت أن النار كانت مشتعلة فى مواضع شتى من المدينة ومن جملتها سراى الحريم فى قصر رأس التين وأن الجنود أخلت الحصون.

ووقتما علمت من مصدر يوثق به تمام الوثوق أن جنود عرابى لم تخل المدينة بل ذهبت للاقامة قرب عمود السوارى لتنتظرنا على مايقال هناك رأيت أن من واجباتى استعمال الحكمة فأنزلت فصيلة من المدرعة انفنسيبل وأخرى من مونارك بقيادة الكابتن فيرفاكس Fairfax بقصد تسمير أو نسف المدافع المنصوبة بين القبارى وصالح وهى المدافع التى كانت تصوب طلقاتها على الميناء . وكان هذا العمل منى من الاحتياطات الأولية .

وفى خلال القيام بهذه الاحتياطات أرسلت سفن المدفعية الى المدرعات الراسية خارج الشعوب المجاورة لجانبى البوغاز لتستحضر منها عساكر البحرية فاحتلت سراى رأس التين نفسها وسمرت عددا كبيرا من المدافع التى كانت تسدد طلقاتها على سفننا . وقبيل هذا الوقت زارنى احمد توفيق افندى ياور سعادة درويش باشا وبمعيته أمير الألاى زهران بك ياور سمو الخديو وكان قادما من سراى الرمل الواقعة على بعد أربعة أميال تقريباً من الاسكندرية ليسألنى إذا كنت مستعداً لأن آخذ على عاتقى قبول الخديو لأن

الحالة تدعو الى الخوف على سلامتـــه بسبب الآلايات الثائرة التي تحيط به . فأظهرت فى الحال استعدادى لبذل مايفيـــد سموه . وقبيـل الساعة الرابعة مســـاء تشرفت باستقبـال سموه عنـد باب السراى التى لم تصب لحسن الحظ من نار السفن الا بضرر طفيف فى يوم ١١ .

ولى الخ ... ؟ الامضـاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القواد

(٣)

من ظهر المدرعة انفنسيبل بالاسكندرية فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢
إلى سكرتير الاميرالية .

سيـــدى

الحاقا لبيانى المفصـــل والمؤرخ فى ١٩ الجـــارى أتشرف بان أرفع لـكم ـ لأحاطة اللوردات بما سيذكر بعد ـ تقريرا آخر أكثر تفصيلا من البيان المذكور الذى تيسر لى ارساله عن القتـــال الذى دارت رحاه بين الأسطول الذى تحت قيادتى والحصون المدافعـة عن الاسكندرية .

لقـــد سبق أن قررت كما يتبين من بيان ترتيب القتـــال المصحوب بهذا والذى سلمت منه نسخة إلى كل ربان أن أجعل الهجوم قسمين ـ قسم تقوم به سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا على جانب

رأس التين الشمالى وتعاونها فى ذلك المدرعة انفلكسيبل التى كانت راسية فى مدخل ممر البوغاز الصغير باطلاق مدافع برجها الخلفى حتى تستطيع بذلك اسكات بطاريات حصن الفنار من الجنب . والقسم الآخر تقوم به انفنسيبل ، ومونارك ، وبنلوب من داخل الشعوب وتعاونها فى ذلك الانفلكسيبل باطلاق مدافع برجها الأمامى وكذلك المدرعة تمرير التى اتخذت مقرها بجوار الشمندورة التى بواسطتها يستدل على مدخل البوغاز .

وانفصلت كل من السفينتين هلكن وكندور لأنهما كانتا من سفن الاعادة . أما السفن بيكن ، وبترن ، وسينت ، ودكوى فقد استخدمت حسب الأوامر التى كانت قد أصدرت إليها للأشارات طول يوم الضرب .

وفى يوم ١١ يوليه فى الساعة السابعة صباحا أمرت البارجة الكسندرا بالاشارة من ظهر انفنسيبل أن ترسل قذيفة إلى الستائر الحديثة التى كان قد تم إصلاحها وسلحت ويقال لها بطارية الاسبتالية وأردفت هذا الأمر باشارة عامة إلى الاسطول أن « هاجموا بطاريات الأعداء » . فتبودل الضرب فى الحال بين السفن وهى فى المواقف التى رسمت لها وجميع الحصون المشرفة على مدخل ميناء الاسكندرية واستمر اطلاق النيران بشدة من الجانبين ومن كل صوب وناحية إلى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا . وكانت المدرعات سلطان وسوبرب ، والكسندرا إلى هذه الساعة رافعة مراسيها فألقتها

فى مياه حصن الفنار . وبقذائفها المحكمة مع معاونة المدرعة انفلكسيبل لهـــا بعد أن رفعت مرســـاتها وانضمت إليها فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، نجحت فى اسكات معظم مدافع حصون رأس التين . ولكن بعض مدافع حصن الأطة الضخمة بقيت مستمرة فى الضرب إلا أنه كان ضربا غير متواصـــل . وقبيل منتصف الساعة الثانية قذفت المدرعة سوپرب - وكانت حركاتها من بعد الظهر موفقة جدا - قنبلة على هذا الحصن فنسفت مستودع بارودة فاضطرت بقية حاميته إلى الانسحاب حالا . وعندئذ وجهت هذه المدرعات قوتها إلى حصن فاروس فأسكتته بعد أن انضمت إليها فى منتصف الساعة الثالثة المدرعة تمرير وكان ذلك عندما قذفته المدرعة انفلكسيبل بقذيفة أوقعت مدفعا من مدافعه الضخمة .

وكانت حركات بطاريات حصن الاسبتاليـــة من البداية الى النهاية تســـاس بطريقة موفقـــة جداً . ومع أن هذا الحصن أسكت وقتـــاً ما على أثر ضربه بقذيفة من المدرعة انفلكسيبل فان جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم إلا بعـــد أن أكرهتهم نيران مـــدافع هذه المدرعة والأسطول الخارجى على التخلى عنهـــا .

والمدرعة انفنسيبل التى يخفق عليها علم بمساعدة المدرعة پنلوپ وكانت الاثنتان ملقيتين مراسيها غير أن الأخيرة غيرت مرساها فى ظرف من الظروف . والمدرعة موناركـ الطليقـــة داخل منطقـــة الشعوب . والمدرعتـــان انفلكسيبل وتمرير الطليقتـــان فى البوغاز ومدخـــل البوغاز الصغير ، قـــد نجحت كل هذه المدرعات بعـــد اشتبا كها فى

قتال دام بضع ساعات فى اسكات بطاريات خط المكس وتخريب جزء منها .

ودمر حصن مرسى القناة على أثر انفجار مستودع بارودة وبعد قتال مع المدرعة مونارك دام نصف ساعة .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر عندما شاهدت أن جنود مدفعية البطارية المنخفضة التى فى الجهة الغربية من المكس تركوا مواقفهم وأنه من المحتمل أن يكون المساعدون انسحبوا إلى القلعة أحضرت السفن والمدفعيات وتحت حماية طلقات مدافعها أنزلت إلى البر فصيلة مؤلفة من اثنى عشر من الجنود المتطوعين بقيادة اللفتنانت برادفورد Bradford من ضباط المدرعة انفنسيبل وبمعيته اللفتنانت رتشارد پور Richard poore من ضباط هذه المدرعة أيضا واللفتنانت الاونورابل هدورث لامبتن ضابط اركان الحرب والماچور تلك من الآلاى ولش الذى بأركان حرب أميراليتى والاسپران مستر هاردى Hardy . وهؤلاء جميعا نزلوا فى زوارق سارت بهم فى وسط الأمواج وأتلفوا مدفعين من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصات بالديناميت وسمروا ستة مدافع من الطراز القديم كانت مقامة بالجهة اليمنى من المكس . ثم رجعوا ولم يخسروا الا زورقا من زوارق السفينة بترن تحطم على الصخور . وهذا العمل يعد ضربا من المخاطرة ولكنه تم بمهارة فائقة .

وعند ما أضحى القتـــال عاما رأى القومندان لورد تشارلس برسفورد Lord Charles Beresford من ضباط السفينة كندور القائمة بوظيفة الاعادة أن مـــدفعين من مدافع حصن المرابط من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصـــات يصـــوبان قذائفهما الى السفن المحاربة التى أمام حصن المكس فاقترب بسفينته الى المســـافة التى يتمكن منها مدفعها الذى عياره ٧ بوصات ووزنه ٩٠ قنطارا من اصابة المرمى وحول حالا وجهـــة ضرب المدفعين المذكـــورين . فأمرته وقتئذ أن يستمد معـــونة السفن بيـــكن ، وبترن ، وسينت . وكانت سينت اشتبكت قبل الظهر بقليل مع حصون رأس التين .

وأرانى سعيـــدا اذ أخبركم بأن هـــذه السفن لم تصب بأى ضرر وذلك بفضل ما أبدته من المهارة فى مناوراتها . وقد سوغ لها قصر غاطسها ـ من حسن الحظ ـ أن تتخذ لهـــا موقفا أمام أضعف نقط بطاريات الحصـــون .

وانتهت الحرب بالفـــوز فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى القت فيها السفن مراسيها لقضاء ليلتها .

ولو استعمل كل مـــدفع من المدافع المنصوبة على خـــط التحصينات لكانت القـــوة التى صادمتنا أشد هولا وأكثر رهبـــة . ولكن بطاريات رأس التين استخدمت قليـــلا من المدافع من الطراز القديم وأقل منها من المدافع الفرنسية عيار ٣٦ . وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد على لأن المصريين يؤثرون استعمال المدافع الانكليزية عيار

١٠ و ٩ و ٨ بوصات . وأيضا المدافع الانكليزية الصغيرة من طراز الششخانة . وهـــذه المدافع هى بالضبط نفس المدافع المسلحـــة بها سفن جـــلالة الملكة . ولا يمكن العثـــور على أفضل من هـــذه المدافع بين المدافع التى تعبأ من فوهاتها . وكانت المدافع المصرية مزودة بقذائف من أحدث طراز . واستخدمت ذخيرتها بكثرة لدرجة الاسراف. وكان تصويب المدافع يدعو الى الاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط المكس لولا أنها استخدمت اكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيـــار ١٥ بوصة من طراز الششخانة فضلا عن المـــدافع التى من عيار ١٠ و ٩ بوصات والمدافع الصغيرة الششخانة .

واستعمل حصن المرابط مـــدفعين من مـــدافع الششخانة ذات المرمى البعيـــد عيار ١٠ بوصات وكان كل واحـــد منهما يرمى قذائفه تلو الآخـــر فى اتجاه الاسطول الراسى قريبا من الشـــاطىء والمصطف بكيفية تدعـــو الى الاعجاب فتخطىء المرمى بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ ياردة .

ولم تنفجـــر أية قنبلة من القنابل التي قذفتها بطاريات الجنوب على ظهر سفن صاحبة الجلالة فى خلال اليوم . وتجدون صحبة هـذا تقريرا رسميا مقدما من الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان لعرضه على أصحاب السعادة الأميرالية . وقد تولى هذا الكابتن قيادة الاسطول الخارجى فقام بهذا العبء بكفاءة وجدارة تستوجبان الاعجاب . فقـــد تلقى هذا الاسطول ويلات الحـــرب كما يؤيد ذلك تمام التأييد البيان

الذى مع هذا الخـاص بالأضرار التى لحقت المـدرعات سلطان، وسوپرب، والكسندرا . وليس لدى ما أقوله عن الأضرار التي حلت بالمـدرعة پنلوپ . فهذه البارجة انفصلت عن اسطولى بعد أمد قليل. والجزء العلوى من بنـاء المدرعتين انفنسيبل وانفلكسيبل أصابه أكثر من قذيفة غير أنه لم يترتب على ذلك ضرر جسيم .

وأرانى عاجزاً عن أن أوفى جميع الضبـاط الذين قادوا السفن ما يستحقونه من المدح والثنـاء على ما أولونى من المعونة فى هذه الظروف ويجب على أن أخص بالشـكر الـكابتن هنت جرب الذى قام بقيـادة الأسطول الخارجى والذى أريد أن ألفت اليـه أنظار أصحاب السعادة الأميرالية . ويسرنى أيضـاً أن أشكر الكابتن توماس وورد Thomas Ward من ضباط المدرعة سوپرب والكابتن تشارلس هوثام Charles Hotham من ضباط المدرعة الكسندرا وكلا الاثنين تابـع للأسطول الخـارجى . والكابتن هنرى نكولسن Henry Nicholson من ضبـاط المدرعـة تمرير . وچون فشر John Fisher من المدرعـة انفلكسيبل « الذين أدوا خارج البوغاز الأعمال التى عاونوا بهـا الأسطول الواقف بجوار السـاحل وساعدوا بعد ذلك على الهجوم الموجه نحو الشمال » . والكابتن هنرى فيرفاكس Henry Fairfax من ضباط المدرعـة مونارك ، والكابتن سان چورج دارسى إرفين St. George D'Arcy Irvine من ضبـاط المدرعة پنلوپ ، وروبرت مور ملنو Robert More Molyneux للسلك

الذى سلكوه فى تأدية واجباتهم على اختلافها .

والقومنـدانات چورچ هاند George Hand أقدم الضبـــاط الذين فى رتبته ومن ضبـــاط بيكن . ولورد تشارلس برسفـــورد من ضباط السفينة كندور . وتوماس براند Thomas Brand من ضباط بترن . واللفتنـــانت هـغ ريدر Hugh Ryder قومندان السفينة سينت . وهذا الضـــابط له فى الخـدمة أكثر من ١٥ سنة . واللفتنـــانت ارثر بلدرو Arthur Boldero قائد السـفينة دكوى . وجميعهم ضباط جديرون كثيراً بالترقية . والمهمة التى ألقيت على عواتقهم قبـــل الحرب وبعـد الحــرب كانت شاقة جــدا . إذ من المعلوم أنهم قاموا بالمواصـــلات بين السفن الواقفـــة داخل وخارج منطقـــة الصخور . وكثيراً ما كانوا يقومون بهذه الخدم فى جو مكفهر وفى أثنـــاء الليل حيث تستدعى الحـالة مزيد الانتبـــاه فى المناورات والمعـــرفة التـامة بادارة السفن .

كما يبهـــجنى أن أدلى باسم اللفتنـــانت وليم مرسن William Morrison من ضباط السفينة هلكن . فلقد تعرض هــذا الضابط اكثر من مرة لنـــيران بطاريات الشمال حينما كان يعيـــد الاشارات التي كنت أعطيها وهو على ظهـــر سفينة لم تبن لأغراض حربيـــة وعلى العموم أرى نفسى مديناً لضباط وجنـــود الأسطول بوجه عام فانهم كللوا هذا الكفاح بالنصر وختموه ختاماً سريعاً .

ولقـد لفت نظرى بوجه خاص الكابتن هوثام من ضبـــاط

المدرعة الكسندرا الى عمـــل مجيد قام به مستر اسرائيـــل هاردنج Israel Harding من جنود مدفعية الكسندرا . ذلك انه رفع قذيفة ملتهبة عيار ١٠ بوصات اخـــترقت جنب السفينة وسكنت فى القنطرة الرئيسية ووضعهـــا فى وعاء الماء ، الأمر الذى لولاه لكان من الجائز أن تنفجر وتودى بحياة عدد كبـــير من الجنود . وقد لفت نظرى أيضا إلى سلوك القومندان الان توماس Alan Thomas من المدرعة الكسندرا الجدير بالمدح والثناء طول هـــذا اليوم . وانى لواثق كل الوثوق بأن هذا الضابط وهسكنز Hoskins قومنـــدان أركان حرب السفينة التى يخفق عليهـــا علمى . وهو الذى كتب عنـــه الكابتن هنت جرب تقريرا . نعم . انى لواثق أن هذين الضابطين لايتأذيان من غيـــابى الاضطرارى عن هذه السفينة . وكافة الربابين يوجهـون عبارات المـــدح المستطاب والثناء الجم الى ضباطهم والى المـــلاحين لحسن سلوكهم .

ويستحيل بالكلية أن أبين بالتفصيل الأضرار الطفيفة التى حلت بسفن جلالة الملكة فى خلال هـذا الكفاح من القذائف والطلقات التى أصابتها أو أفصـــل كذلك العطب الذى منى به جسم البوارج سوپرب ، وسلطان ، والكسندرا ، ولاعطب المدرعات انفنسيبل وپنلوپ ، وانفلكسيبل الذى هو أقل أثرا من عطب الثـــلاث الأول ولكنى أستطيع أن أعرب عن شديد أسفى لوفاة اللفتنـانت فرنسيس جاكسن Francis Jackson ومســـتر وليم شنن William Shannon

نجار المدرعة انفلكسيبل . ويؤخذ من الأخبار الأخيرة عن الجرحى أن حالتهم آخذة فى التحسن وقد أرسلوا الى مالطة على ظهر الباخرة همبر .

وتجدون صحبة هذا قائمة بأسماء فصيلة المتطوعين التى قامت بتسمير مدافع بطاريات المكس وكذلك أسماء ملاحى الزوارق .

بطولة رجال المدفعية المصرية

لقد أبدى كل الذين كتبوا عن حادث ضرب الاسكندرية الأليم بالاجماع ثناءهم ، على رجال المدفعية المصرية لما أظهروه فى ذلك اليوم من البسالة والشجاعة فى كفاح قوة لاتناسب بينها وبينهم .

وانى لم أشأ هنا أن أذكر فى التنويه بفضلهم إلا ما ذكره شهود العيان ومن بينهم خصومهم الذين حضروا القتال وشهادة هؤلاء جميعا أوجه بالطبع من شهادة الذين لم يشهدوا هذه الحرب .

فلقد كان الانكليز يتخيلون قبل الدخول فى هذه الحرب كما اعترفوا بذلك فيما بعد أن اسكات الحصون أمر هين لين . وهذا الاعتراف يهدم مخاوفهم على سفنهم من أساسها ، تلك المخاوف التى طالما ادعوها وتشبثوا بها . ولكن المقاومة التى لاقوها والثبات الذى أبداه جنود المدفعية المصرية فى ملازمة مدافعهم واستماتتهم بجانبها كل هذا أدهشهم وجعلهم ينطقون بالرغم منهم بالمديح المستطاب والثناء العاطر على هؤلاء الجنود الأبطال .

وأبدأ هذه الشهادات بشهـــادة الأميرال سيمور نفسه الذى قال فى تقريره المؤرخ فى يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢ للأميرالية البريطانية :ـ

لقد قاتل المصريون قتال الأبطـــال وثبتوا فى مواقفهم ثبات الشجعان وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى كانت تصبها عليهم مدافعنا الضخمة الى أن فنى بلا شـــك أكثرهم . ا هـ

وقال القومنـــدان هنت جرب قائد المـــدرعة سلطـــان وقائد الأسطـــول الخارجي فى تقريره للأميرال سيمور :ـــ

ولما وجدت أن الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنود المدفعية المصرية لا يستهان بهم وانهم فى الواقع يحكمون الضرب ، رأيت من الصواب أن القى المراسى لكى احصل على المسافة اللازمة بالدقة . ا هـ

وقال القومندان جودريتش من رجال البحرية الامريكية الحربية الذى كان على متن السفينة الحربية الامريكية لانكاستر Lancaster ورأى كل ماحدث بعيني رأسه فى تقريره ص ٣٦ :ـــ

وجاوب المصريون رغم التفـــاوت الذى كان بينهما من ناحية العدد ومن ناحية عيار المـــدافع على النيران المتدفقة من أفواه مدافع الاسطـــول الانكليزى اجابة مدهشة لم تكن متوقعـــة بتاتا بشجاعة تستوجب الاعجاب . وعنـــدما كانت المـــدرعة انفلكسيبل ترسل مقذوفات زنة كل منها ١٧٠٠ رطـــل على حصن الفنار وتصيب ساتره فتثير الانقاض والأتربة الى علو الفنار نفسه ويتخيل المـــرء عند ما

يرى ذلك أنه ليس فى الامكان أن يعيش أى انسان تحت نيران كهذه النيران ، لا يلبث بعد بضع دقائق عندما ينقشع الغبار أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقفهم يطلقون قذائفهم على خصمهم الرهيب . ا هـ

وقال الماجور تُلك من رجال قلم المخابرات (وترقى الآن الى جنرال) وكان على ظهر المدرعة انفنسيبل فى كتابه (ذكريات أربعين عاما فى الخدمة) ص ٢٨٦ :—

وبعد أن نزلت الى البر بزمن يسير طفت حول البطاريات التى بقرب رأس التين فوجدت منظر البعض منها ينفطر منه الفؤاد وسمعت فيما بعد من مصدر وثيق أن الخسائر فى الارواح من جنود المدفعية ومن جنود البيادة الذين كانوا خلف الحصون بلغت أكثر من ثمانمائة . وقد وسقت بالقتلى العربات فى أثناء القتال . ولكن لما كان عدد القتلى فى نهاية الحرب كبيرا جدا فتحت لهم حفرة واسعة فى رأس التين وألقيت أجسادهم فيها ثم ووريت فى التراب . ومع هذه المواراة يستطيع الانسان فى عدة مواضع من هذه المقبرة أن يرى الطبقة العليا من هذه الأجساد ظاهرة على وجه الأرض . وقد سقط ساتر الحصن على بعض الجنود فأزهق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض دون أن يستطيع أحد اخراجها . ووجدت جثة ضابط مصرى وجثث ستة من الجنود المصرية البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة .

وعنـــدى أنه لا يستطيع الا القليل من النـاس أن يؤدوا واجباتهم مثل ما أداها أولئك الجنـــود الذين كانوا فى الحصون فى ذلك اليوم . وليس فى مقـــدور الانسان أن يخفى دهشته وإعجابه من أن هؤلاء الجنود فى الحـــالة التى كانت فيها النيران تحيفهم من كل جهـــة أرادوا أن يرفعوا أحـــد المدافع من سقطته التى سقطها . وفى حالة أخرى وهم فى معمعة القتال حاولوا أن يرجعـــوا مدفعـا الى موضعـــه وهم تحت وابل من النيران .

وفى المكس كان يوجد ساتر من الرمال سميك تتوارى خلفـه جنود المدفعية ولـكن على طول امتداد البطـاريات الشرقية لم يكن يوجد إلا ستائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضع ، والأنقاض التى تقوضت منها لابد أن تكون قد أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح . اهـ

وقال البارون دكيوزل بك Le Baron De Kusel Bey وكيل مصلحـــة الجمارك المصرية الذى كان على السفينة تنجور أمام الاسكندرية فى كتابه (ذكريات رجـــل انكليزى عن مصر) ص ٢٠٠ :—

لقد ثبت جنود المدفعيـــة المصرية فى مواقفهم أمام نيران المدرعات الانكليزية الهـــائلة الفتاكة ثباتا دل على بسـالتهم وبطولتهم . وظلوا يلقـــون القنابل باستمرار فتصيب أهدافها من هـــذه البوارج ـ الى أن قال فى هذه الصفحـــة أيضا ـ وليست المسألة مسألة ريبـة فى بطولة الجنود المصرية فلقد قاتلوا مستبسلين ، ولـكن لم يكن لهم الالمام التـــام بسلاحهم ليجنوا من دفاعهم ولو بعض النجـــاح .

ولم ينقض الضرب إلا فى منتصف الساعة الثانية عشرة صباحا (أى من يوم ١٢ يوليه) لأن المصريين اذا كان لديهم مدفع فى أى موضع لم يكن قد سقط ، استعملوه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت إكراها . اه

* * *

وقال مسيو سكوتيدس Scotidis وكيل قنصل اليونان فى الاسكندرية فى كتابه (مصر المعاصرة وعرابى باشا) ص ١٦٨ و ١٦٩ :—

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشاط وإحكام أدهشا الانكليز . وتقدمت البوارج الانكليزية ، تلك المدرعات الضخمة ، تسير ببطء واتخذت لها موقفا أمام الحصون وصوبت اليها نيران مدافعها فى مركز واحد . وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بأنها ستدمرها تدميرا . ولقد كانت هذه القذائف تحطم المدافع الضخمة وتقلب قواعدها وتنسف مستودعات البارود وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التعساء . وعندئذ تقترب شيئا فشيئا لتضعف قوة هؤلاء المصريين بتقويض حصونهم بطوفان من قذائف مدافع السربند المقامة على ساريات السفن .

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر وهى فى منتصف الطريق فتثير عجاج الماء . والبعض الآخر يصطدم بمدرعات الانكليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ويغوص فى

البحر . ومع هذا فلا ينبغى الا الاعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات فى مواقفهم ورثاء أولئك الضحايا الذين راحوا طعمة للنار بطيش عرابى ورعونته وبجرأته التى أظهرها عبثا . وكان معظم الحصون بلا ساتر فقلبت القنابل من مدافعها ما كان أكثر قوة وأعظم خطرا وأحاطتها بالمئات من جثث القتلى . وفى خلال انتشار الدخان الكثيف الذى يسوقه النسيم فى بعض الأوقات كان هؤلاء الجنود الشجعان الذين كانوا يستطيعون أن يخدموا وطنهم فى ظروف أخرى ، يمثلون بحق الأبطال الذين يدفعون غارات الجبابرة . اه

هذه شهادات كلها صادرة من شهود عيان معظمهم من الخصوم وانها لأقوى برهان على أن ضباط وجنود ١ جى ألاى طوبجية سواحل قاموا فى ذلك اليوم الأسود المشئوم بما هو فوق الواجب فاستحقوا بذلك أكبر التقدير مع تخليد الذكر وعظيم الشكر . رحمهم الله وعزانا وعزى هذا الوطن الأسيف فيهم .

وإزاء ما قام به هذا الآلاى من ضروب الشجاعة والأقدام والأخلاص للوطن لدرجة التضحية بآخر أنفاسه فى سبيل الذود عن حياضه ، رأينا تخليداً لذكرى أعمال ضباطه وجنوده المجيدة أن نثبت أسماء من عثرنا على أسمائهم منهم مع ذكر عددهم جميعاً فى الجدول الآتى ، وها هو كما استخرجناه من دفاتر دار المحفوظات المصرية :

١ جى الاي طوبجيـــة سواحل

عدد	عدد	الأسمـــاء	الرتب
	١	اسماعيل بك صبرى	أمير الألاى
	١	محمـــد بك نسـيم	قائمقام الألاى
	١	عبد العال افندى ابو العلا	١ جى بكباشى
	١	سيف النصر افنـــدى	٢ جى »
	١	محمد افنـــدى شرمى	٣ جى »
	١	رأفت افنـــدى سرى	١ جى صاغ
	١	صبحى افندى هاشم	٢ جى »
٨	١	محمـــد افندى رفعت	٣ جى »

أركان حرب وأطبـــاء وكتـاب وغيرهم

عدد	الأسماء	الرتب
١	محمد افنـدى سيد احمد	صـــاغ
١	ابراهيم افنـــدى كامل	»
١	محمـــد افندى نافعى	حكيمباشى الألاى
١	محمـــد افندى لمعى	ملازم اول اجزجى
١	محمد افنـدى حسب الله	» ثان تعليمجى الاشارة
١	محمـــد افندى محمـد	كاتب اول الألاى
٦		

٨

عدد

٨ ماقبـــله

عدد

٦ ماقبـــله (تابع أركان الحرب وغـــيرهم)

عدد	الأسماء	الرتب
١	رضوان افندى رضوان	كاتب ثانى الآلاى
١	مصطفى افنـدى الخـولى	« ثالث «
١	موسى افندى الوردانى	« رابع «
١	فـرج افـندى عوض	« الأشغـــال المتأخرة
١	الشيخ محمد عبد العـال	امام وخوجه
١	الشيخ عبد الله ابراهيم	امام

١٥ ٣ توفتجيـــه

بلوك

عدد

عدد	الأسماء	الرتب
١	مصـطفى افنـدى مختـار	يوزباشى
١	احمد افندى قنـــديل	ملازم اول
١	حسن أفنـــدى مكى	« ثان
١	اسماعيل افنـــدى صبرى	« «

١٢٩ ١٢٥ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٨٤ ٨٤ صف ضباط وعساكر

٢٣٩

عدد

٢٣٦ ماقبله

بلوك

عدد	الأسماء	الرتب
١	على افندى بهجت	يوزباشى
١	محمد افندى حامد	ملازم اول
١	محمود افندى خليل	« ثان
١	محمد افندى حلمى	« «
١	محمد افندى عبد الخالق	صول

١٣٢ ١٢٧ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٩٩ ٩٩ صف ضباط وعساكر

بلوك

عدد		
١	احمد افندى فهمى	يوزباشى
١	محمد افندى الموجى	يوزباشى
١	دهشان افندى عزمى	ملازم اول
١	سليم افندى صائب	« «
١	غنيم افندى هدهد	« ثان

١٨١ ١٧٦ صف ضباط وعساكر

٦٤٨

عدد
٦٤٨ ماقبله
مذكورون بدون تفصيل
عدد
٥٢ ٥٢ انفار
بلوك

عدد	الأسماء	الرتب
١	عبد الحميد افندى الجندى	يوزباشى
١	محمد افندى امين	ملازم اول
١	احمد افندى هادى	« «
١	سليمان افندى بهجت	« ثان

١١٧ ١١٣ صف ضباط وعساكر
مذكورون بدون تفصيل
عدد
٧٦ ٧٦ أنفار
بلوك

عدد		
١	عبد الرحمن افندى نجيب	يوزباشى
١	محمد افندى نايل	ملازم اول
١	عبد الرحمن افندى الشافعى	« «
١	محمود افندى رضى	« ثان
١	احمد افندى كامل	« «
١	على افندى خضر	صول

١٤١ ١٣٥ صف ضباط وعساكر

١٠٣٤

عدد
١٠٣٤ ماقبــله
مذكورون بدون تفصيل
عدد
٨٠ ٨٠ أنفار
بلوك

عدد	الأسمـــاء	الرتب
١	يوسف افندى صفوت	يوزباشى
١	حسانين افندى زغلول	يوزباشى
١	عرفه افندى احمـــد	ملازم اول
١	ابراهيم افنـــدى مسلم	« «
١	عبد القادر افندى خيرى	ملازم ثان

١٠٧ ١٠٢ صف ضباط وعساكر
مذكورون بدون تفصيل
عدد
٩٤ ٩٤ صف ضباط وعساكر
بلوك
عدد

عدد	الأسماء	الرتب
١	على افنـــدى فهـمى	يوزباشى
١	عمـار افنـدى عـونى	ملازم اول
١	يوسف افندى سرى	ملازم «
١	احمـــد افندى فضلى	« ثان
١	محمـــد افنـدى عـلى	« «

٥

١٣١٥

عدد

١٣١٥ ماقبـــله

عدد

٥ ماقبـــله

١٥٥ ١٥٠ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٣١ ٣١ أنفــــار

بلوك

عدد

١	مصطفى افندى حسين	يوزباشى
١	حسانين افندى زغلول	ملازم اول
١	ابراهيم افنـــدى مسلم	« «
١	عدوى افنـــدى حلمى	« «
١	حسن افنـــدى أنيس	« ثان

١٦٦ ١٦١ صف ضبـــاط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٦٣ ٦٣ صف ضباط وعساكر

صنــــايعية بلوك العمارة

عدد

٣٢ ٣٢ صف ضبـــاط وعساكر

١٧٦٢ المجموع الكلى

واليك نبذا صغيرة عن بعض ضباط هذا الألاى الذين أمكننا معرفة شىء عنهم تثبتها هنا طمعا فى أن يطلع عليها المطلعون فيوافونا بما يكمل تاريخ حياتهم وتاريخ حياة من لم نعرف عنهم شيئا ولم نذكر عنهم نبذا :ـ

* * *

١ ـ أمير الألاي اسماعيل بك صبري

حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥م ، وحرب الروسيا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م .

٢ ـ القائمقام محمد بك نسيم

هو والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم . حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م . وترقى بعد الاحتلال الى رتبة أمير ألاى . وأحيل الى المعاش بناء على طلبه . ثم أنعم عليه برتبة الباشوية .

٣ ـ البكباشى سيف النصر افندى

هو والد صاحب العزة حمدى بك سيف النصر . حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م وترقى بعد الاحتلال الى رتبة قائمقام . وتوفى فى الخدمة وهو رئيس قرعة مدينة الاسكندرية .

٤ ـ الملازم الثانى احمـــد افندى فضلى

كان من أنجب تلاميذ المدرسة الحربية التى كانت تحت إدارة الجنرال لارمى باشا الفرنسى فى عهد الخـديو اسماعيل وحضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وبعد الضرب وانسحاب جنود عرابى منها ، عين فى فرقة كفر الدوار . فنصب الجنود الانكليزية مدافعهم فوق الجبل المجاور لخزان الماء بالقرب من أبى النواتير . ويقال ان الخديو توفيق كان قد توجه الى تلك الجهـة ليرى من فوق هذا الجبل خط نار العرابيين الذى كان بجهـة عزبة خورشيد . فعندما أبصر احمد افندى فضلى بمنظاره تجمعهم فوق الجبل المذكور وكان لايعلم بوجود الخـديو معهم ، أطلق عليهم قنبـلة من مـدفع كروب وقعت بجوار الخـديو توفيق ولكنها لم تنفجر . وقد ترقى بعد الاحتـلال الى رتبة لواء ثم أحيل الى المعاش وهو فى منصب مدير عموم القرعة .

٥ ـ الملازم الأول محمد افندى لمعى

هو ابن الشيخ عبـد الله البوهي ابن الشيخ ابراهيم البوهى إمام المغفور له سعيد باشا والى مصر . تعـلم بقسم الصيدلة بمدرسة الطب بقصر العيـنى وتخرج منه والتحق صيدليـا بالجيش إلى أن جاءت الحوادث العرابية فكان ملازما أول وصيدليا أول فى ١ جى ألاى

طوبجية سواحل الذى دافع عن حصون الاسكندرية يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وقد نجا من الموت وبقى بالجيش الى أن كانت حوادث السودان وثورة المهدى . فارسل الى السودان صيدليا باحدى الآلايات المصرية . ولما تغلب المهدى على السودان انقطعت أخباره عن ذويه . ومن ذلك الحين لم يتلقوا عنه خبرا إلى أن فتح السودان . وقد تحققوا بعد ذلك انه قتل مع من قتل من المصريين بعد تغلب المهديين على السودان . وقد ترك من الذرية ولدا واحدا كان يسمى ابراهيم محمد لمعى توفى وهو فتى لم يبلغ مبلغ الرجال .



فهــــرس

٢ — فهرس

الموضـــوع	الصفحة

